دولة الإمارات العربية المتحدة

مركز زايد للتنسيق والمتابعة



العنف الصهيوني

الفكرة والتطبيق

العنف الصهيوني
الفكرة والتطبيق

سبتمبر 2001

المحتويات

تقديـم :

ما تأسس على باطل فهو باطل ، وما قام على السلب والنهب والعنف والإرهاب واغتصاب الحقوق فلا يجوز ولا يمكن له أن يستمر على هذه الأسس الباطلة وغير الشرعية ، ولا يخفى على أحد منذ البداية كيف قامت دولة إسرائيل ، وما هو الدور الأساسي الذي لعبه العنف والإرهاب في قيام هذه الدولة ، وتشهد بذلك صفحات التاريخ والمواثيق الدولية ودماء العديد من الذين ذهبوا ضحايا أساليب العنف والإرهاب الصهيوني .

وتأتي هذه الدراسة التي يقدمها مركز زايد للتنسيق والمتابعة ضمن مجموعة دراساته وإصداراته المتميزة حول القضية الفلسطينية بكافة أبعادها باعتبارها القضية العربية الأم التي تدور حولها معظم قضايا ومشاكل العرب ومنطقة الشرق الأوسط بأكملها .

وتتميز هذه الدراسة بأنها تربط بين الماضي والحاضر في تسلسل منطقي واضح لتبين بجلاء ولا يقبل الشك أن ما يحدث الآن في الأراضي الفلسطينية من عنف وإرهاب صهيوني ما هو الا امتداد لمسلسل الإرهاب الصهيوني الذي بدأ منذ العشرينات من القرن الماضي مع عصابات «الهاجاناة» و «الأرجون» و «ليحي» ووصل ذروته في مذبحة «دير ياسين» التي راح ضحيتها مائتان وخمسة وأربعين شهيداً فلسطينياً ، وتواصل المسلسل الرهيب بعد الإعتراف بدولة إسرائيل ليصبح جزءاً لا يتجزأ من سياسات كافة الحكومات الإسرائيلية التي توالت في إسرائيل حتى الآن.

وتستعرض الدراسة العديد من حوادث الإرهاب والعنف الصهيوني في فلسطين والتي راح ضحيتها العشرات بل المئات من أبناء الشعب الفلسطيني الصامد ، ومنها أحداث قطاع غزة عامي ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ومذابح «بيت جالا» و «قبية» التي بدأ بهما إرييل شارون حياته الإرهابية عام ١٩٥٣ ومروراً بمذابح

طبرية وغرندل وجوسان وقلقيلية وكفر قاسم ، وصولاً الى صبرا وشاتيلا وقانا والبقية تأتي طالما الضمير العالمي غائب.

وتتناول الدراسة بالتفصيل التاريخ الإرهابي لإرييل شارون كنموذج واضح للعنف والإرهاب الصهيوني .

وتأتي انتفاضة الأقصى في سبتمبر عام ٢٠٠٠م لتؤكد على مدى صمود الشعب الفلسطيني واستمرار نضاله ضد العنف والإرهاب الصهيوني ، والتي زادت معها الغطرسة الصهيونية وصنوف القمع والعنف والإرهاب وبشكل أصبح يهدد أمن وسلامة المنطقة بل والعالم أجمع .

ومركز زايد للتنسيق والمتابعة إذ يقدم هذه الدراسة ضمن إصداراته المتميزة في هذا المجال إنما يؤكد على توجهاته وأهدافه والتزامه بالقضايا العربية المصيرية وعلى رأسها قضية فلسطين ، وأيضاً ليؤكد على رفضه لكل أساليب العنف والإرهاب التي تمارس ضد الشعب الفلسطيني العربي وضد الإنسانية جمعاء .

مركز زايد للتنسيق والمتابعة

تمهيد:

إن المتتبع للفكرة الصهيونية سوف يجد أن العنف قد تلازم مع البنيان النظرى للفكرة ذاتها . وأنه إذا كانت الصهيونية أيديولوجية تتضمن اتجاهاً فكرياً عاماً يعتنقه العديد من اليهود والذين يطلق عليهم لفظة «الصهاينة»؛ فإن العنف هو الإطار المغلف لهذا الفكر والمحدد لمعالمه، وأن الإرهاب هو الضمانة الأكيدة لعنصرية هذه الأيديولوجية ووسيلتها لتحقيق أهدافها. (١)

لقد آمن المفكرون الأوائل الذين حددوا معالم الفكر الصهيوني بأن القوة الغاشمة هي الدعامة الأكيدة لنجاح فكرتهم وضمان انتشارها. فلقد أوضح «ليوبنسكر Leo Pinsker » (١٨٢١-١٨٩١) أن على اليهود أن يرتبطوا بأية قوة كانت ، فالغاية تبرر الوسيلة .

وأخذ المفكرون اليهود يوضحون ما هية هذه القوة المرتبطة بالعنف في فكرهم ، فهي كخطوة أولى يجب أن تصور على أنها للدفاع عن النفس ، ولهذا فإن كثير من المؤرخين المنصفين يرون أن قادة الصهيونية أخذوا يؤججون أداء ما يسمى بالاضطهادات الموجهة ضد اليهود ، ويعُظمون في نفوس اليهود ما يُعرف باللاسامية Anti-Semitism - «حتى يجدوا المبرر لإيجاد قوة خاصة بهم يستخدمونها في الدفاع عن النفس. وكما يذكر هرتزل ذلك صراحة في كراسته « الدولة اليهودية » Jewish - State « التي كتبها عام ١٨٩٦ » أن اللاسامية هي حركة معقدة جداً . أظن أني أفهمها وسأتناول الحديث عن هذه المشكلة كيهودي إنما دون خوف أو كراهية ، أستطيع أن أرى فيها بعض عناصر التلهي القاسي ، وعناصر المنافسة التجارية والتعصب الموروث واللاتسامح الديني - ولكني أجد فيها أيضاً الحاجة الملحة للدفاع عن النفس. (٢) وفي إشارة واضحة إلى أن ما كان يصلح سابقاً من أسلحة ومعدات لا يصلح لهذه القوة المراد تكوينها لأنه - على حد تعبيره - لا يمكن أن نعود بمستوى الحضارة إلى الوراء ، وفي تصوره لأداء هذه القوة التي عليها مهمة القضاء على أهل البلد الأصليين الذين شبههم بالوحوش أو الحيوانات المراد قتلها بعد صيدها . لا يتم

تأسيس دولة الآن بالأسلوب ذاته الذي كان يستعمل قبل ألف سنة . فمن الغباء العودة بمستوى الحضارة إلى الوراء كما يقترح كثير من الصهيونيين فلنفترض على سبيل المثال بأننا أجبرنا أن نخلي بلداً من الوحوش ، يجب علينا أن لا نقوم بهذا العمل وفقاً لأسلوب الأوربيين في القرن الخامس ، أن يذهب كل منا منفرداً للبحث عن الدببة ، بل يجب علينا تأليف حملة صيد كبيرة - إشارة إلى القوة المراد تشكيلها - ومن ثم تجمع الحيوانات معا - أهل البلد الأصليين - ونلقي في وسطها القنابل المميتة شديدة الانفجار « Deadly bomb » [٣] ورأى هرتزل في المضطهدين خير العناصر لبناء هذه القوة أو هذا الجيش المنشود من اليهود. [٤]

واستمالة للقوى الأوربية أوضح هرتزل أن هذه الدولة ذات القوة الخاصة بها سوف تكون حائطاً أسيوياً للدفاع عن أوروبا ، وحصناً منيعاً للحضارة ضد ما أسماه البربرية Barbarism[٥] لقد أوضح هرتزل بعض المفاهيم التي يمكن أن نستخلصها :

أولا: إنه وجد فيما أسماه بالاضطهاد أو اللاسامية مجالاً خصباً لنفي دعاوى اندماج اليهود في أوطانهم وبالتالي ضمان الكوادر المناسبة للقوة العسكرية اليهودية المنشودة .

ثانياً: ارتباط هذه القوة في المفهوم الهرتزلي بالعنف ؛ فلقد تنبأ بالمقاومة التي سوف يجابهها هذا الكيان المصطنع ، فدعا إلى إبادة سكان الأرض الأصليين - الذين شبههم بالحيوانات - في دعوته الضمنية لإنشاء قوة خاصة باليهود .

ثالثاً : أكد هرتزل ارتباط القوة اليهودية بالاستعمار الأوروبي المسيطر آنذاك على معظم بلدان أسيا وأفريقيا مؤكداً على أن هذه القوة سوف تكون دائماً مسخرة لخدمة الاستعمار .

وكان لنظرية نيتشه في الطموح إلى القوة تأثيرٌ بارز على بعض مفكري الحركة الصهيونية وبشكل خاص على «ميخا جوزيف بيرديشفسكى Micaha Joseph Berdichevesky (١٨٦٥-١٩٢١)» [٦] الذي لم ير إلا التوتر ولم يؤكد إلى على الثورة العنيفة طريقاً لقيام إسرائيل. [٧] ودعا إلى إعادة تفسير التاريخ اليهودي واعتبار أن

الأنبياء العبرانيين والحاخاميين ورجال العلم في الألفي سنة الماضية لم يكونوا سوى حفاري قبور ومفسدين ومشوهين للحياة اليهودية الحقيقية. [٨] وأبدى تعجبه من مقولة حكماء إسرائيل: « إن السيف والكتاب قد هبطا من السماء سوية » مع أنه واضح أن الاثنين متناقضان يقضي الواحد منهما على الآخر. [٩] ويؤكد بيرديشفسكى على أن « السيف ليس شيئاً مجرداً يقف بعيداً عن الحياة. إنه تجسيد للحياة في أعرض خطوطها المادية والجوهرية، ولكن الكتاب ليس كذلك». [١٠] ويستطرد موضحاً : « ان هناك زمناً للرجال وللأمم ليحيوا بالسيف ، أي بقوتهم وشدة سواعدهم وخبراتهم الحيوية، ومثل هذا الزمن هو زمن الشدة، زمن الحياة في معناها الجوهري ولكن الكتاب ليس أكثر من ظل للحياة ، هو الحياة في شيخوختها». [١١] واستطرد بيرديشفسكى أن ثمة تياراً عسكرياً إرهابياً يسري في التراث اليهودي ، فالحاخام «اليعازر بن هركيانوس» الذي عاش في القرن الأول الميلادي أوضح أنه مسموح لليهود أن يظهروا يوم السبت بالسيف والقوس Blade and bow وذلك لأنهما زينة الإنسان. [١٢]

وهكذا استلهمت الصهيونية مادتها الخصبة من التراث اليهودي الذي يشوبه الزيف والتضليل وأخذوا يحصون الدلالات والرموز للجوانب العنيفة مركزين في صياغتهم «للفلوكلور» اليهودي والحكاوي الأسطورية على ما يحيي في نفوسهم ذكريات معينة ، [١٣] مثل حادثة قلعة ماسادا أو البيتار. [١٤] وراح واحد مثل «ماكس نوردو» يعمل على إيقاظ اليهودية الجديدة بواسطة تربية النشء تربية بيئية خاصة ، والتربية المذكورة هي السبيل إلى إيجاد يهودية العضلات أو الفتوة التي ضاعت خلال ثمانية عشر قرناً من النفي والتشرد. [١٥] واقترح نوردو أن يقلع اليهودي عن قهر جسده وأن يعمل على تنمية قواه الجسدية وعضلاته أسوة بذلك البطل الذي رفض التعرف على الهزيمة ، وحين خانه النصر عرف كيف يموت « إنه باركوخبا آخر تجسيد على صعيد التاريخ العالمي لتلك اليهودية في صلاته عودها المقاتل وحبها لقعقعة السلاح».

وفي مرحلة تالية جاء زعيم العنف في الفكر الصهيوني في العصر الحديث ، «زئيف فلاديمير جابوتنسكي» ليؤكد أن بناء الفكر التطرفي الصهيوني متواصل

وممتد، وأن العنف والإرهاب والقوة وسائل مشروعة لتحقيق غاياته؛ وأن هذا الخط التطرفي إنما يعود إلى خط منظمي الصهيونية الأوائل هرتزل ونوردو وأن سياسته بمنطلقاتها إنما هي دعوة تصحيحية للمسار الصهيوني ويقول في ذلك : «إننا نجاهد في سبيل تأكيد المفهوم الهرتزلي القديم ضد عُقد المنفى التي تسيطر على زمام الحركة الصهيونية .. وأخذ يدعو الشباب إلى «العسكرة» وإلى التمسك بالمظاهر الأسطورية الموروثة. ففي رده على مستشار جمعية الطلاب اليهود في فيينا في الثلاثينيات من القرن الماضي ، حينما أعلن الأخير عزمه على إلغاء جميع مظاهر الاحتفالات الموروثة عن المؤسسات الألمانية والأوروبية عارضه جابوتنسكى بعنف قائلاً : «بإمكانكم أن تلغوا كل شئ ، القلانس ، الأحزمة ، الشارات الملونة ، والإفراط في الشراب ، والأناشيد ، كل شيء ، عدا السيف لا يمكن إلغاؤه ، عليكم الاحتفاظ به ، لأنه ليس بدعة ألمانية بل يعود تاريخه إلى أجدادنا الأوائل .. واستطرد قائلاً : «إن التوراة والسيف أُنزلا علينا من السماء». (١٦) ويؤكد جابوتنسكي بهذه المقولة الادعاءات التاريخية لليهودية للنبي الغازي المرسل من السماء ممسكا بسيفه الذي أبرزته المقدسات القومية اليهودية ، وهي الصورة التي جعلها قادة الصهيونية رمزاً لعقيدتهم ، ويأتى جابوتنسكي ليؤكد ما قاله سابقوه وما قصدوا إليه صراحة ، ورفض المساعي «التي بذلها تيودور هرتزل لتأمين اعتراف دولي وفق القانون العام بالدولة اليهودية في فلسطين وأوضح أن الطرق الاستعمارية التقليدية هي أنسب الطرق أمام الحركة الصهيونية لاغتصاب فلسطين (١٧) ، وأن هذه الدولة المنشودة يمكنها أن تكون مرتكزاً للاستعمار الغربي في وسط ما أسماه ببحر المحمدية الطاغي ، وأنها لابد أن تكون قوية حتى تستطيع أن تفرض نفسها . وقد استحضر جابوتنسكي قول السياسي الإيطالي من عصر النهضة نيقولا ميكيافيلي (١٤٦٩-١٥٢٧) «لا يمكن أن توجد قوانين صالحة ، إلا حيثما توجد أسلحة قوية ، وحينما توجد أسلحة قوية توجد قوانين صالحة» (١٨) وأوضح غاريبلدي الصهيونية - حابوتنسكي - هدفه مذكراً أن عصر الحريات الإنسانية والذي يعترف بحقوق الآخرين قد ولى وحل مكانه عالم جديد يرفض النزعة الإنسانية ولا يلتفت إطلاقاً لحقوق الآخرين ويستند على الإنسانية القومية لتأكيد وجوده الذي لا ينتعش في ظل العقل والأخلاق بل في ظل الحيوية الجسدية. (١٩)

والمتتبع لتاريخ الحركة الصهيونية سيرى أن الاتجاهات الصهيونية على مختلف انتماءاتها لا تخرج عن مجرد انعكاسات متعددة لصورة واحدة هي الصورة التي رسمها جابوتنسكي عن مشاعره وأحاسيسه المفعمة بالكراهية للعرب [٢٠] ورغم أن الدعاية الصهيونية حاولت تصوير جابوتنسكى على أنه أبو الإرهاب الصهيوني ، وأن الخط الذي يتبعه لا يمثل الاتجاه الصهيوني الرسمي ، وأن جميع الأعمال الإرهابية تنسب إليه هو وجماعته فقط لكن واقع الأحداث التي مرت بالمنطقة يوضح غير هذا الإدعاء وأن برامج الصهيونية الرسمية تتوافق مع مخططات أبي الإرهاب الصهيوني في العصر الحديث. وأن تلاميذه ليسوا فقط هم المنتمين لخطة اليميني الصهيوني؛ وإنما هو فقط مجاهر بما يؤمن به ويضمره كل المنتمين للخط الصهيوني . فهذا حاييم وايزمان يعبر في مذكراته «التجربة و الخطأ Trial and Error » في وصف الجو العام لفلسطين في عام ١٩١٤ : «يستطيع الإنسان أن يرى هنا وهناك تحللا للأخلاقية الصهيونية التقليدية ، ويلمس بدلاً منها سمة من الروح العسكرية وارتماء في أحضانها، بل وأكثر من ذلك لجوءاً إلى العنف والإرهاب واستعداداً للتعاون مع الشر كقوة لها فوائدها في تحقيق الوطن القومي لليهود». [٢١]

وفي إطار التبرير لاتخاذ العنف منهجاً للحركة الصهيونية ، يذكر أحد الكتاب الصهيونيين أن هذا الأمر يأتى في إطار الضرورة فهو «أولاً من وجهة نظره ، هام - أي العنف - للتقدم الإنساني ، فبدون سقوط الباستيل وإقتحامه بواسطة الغوغاء من الفرنسيين ، ما كان إعلان الدستور الفرنسي المتضمن لحقوق الإنسان عام ١٧٩١» ، وأنه للحفاظ على القيم الأخلاقية والروحية فعلى الانسان أن يكون قوياً وعنيفاً . وثانياً فانه ينبغي أن ندرك أن الغاية تبرر الوسيلة... وأن العنف هو كالزرنيخ إذ استعمل بكميات معتدلة فهو يقوي الجسم وأما إذا استعمل بكميات كبيرة فهو السم القاتل». ولذا من وجهة نظر هذا الكاتب الصهيوني فإن اللجوء إلى العنف والإرهاب من قبل المنظمات الإرهابية وعلى رأسها الارجون «تسفئ لؤمي» أو «المنظمة العسكرية القومية» التي أنشأها جابوتنسكي عام ١٩٣٧ له مبرره الأخلاقي.. وأن وصف أعمالها بالفاشية .. مرفوض..» [٢٢]

ويبدو أن العنف الصهيوني يسوق مشروعه الإرهابي مغلفاً بالأخلاق الخاصة بالصهيونية فيبرز أن إرسال الارجون لعربة مُركب عليها مكبر صوت لتنذر أهالي دير ياسين قبل المذبحة جاء من منطلق « التوجه الأخلاقي» للقتلة! (٢٣) وبالتالي فإنه لا مبرر أن يكون هناك إتهاماً ضد «الارجون » . . وهو أمر سوف نناقشه في حينه ، ولكننا فقط نشير إلى المنطق الذي آمنت به القيادات الصهيونية على مستوى الفعل الحركي والتبرير غير المنطقي الذي تسوقه ، وللأسف فإن هناك من ينخدعون به .

وإذا كنا قد صنفنا «زئيف جابوتنسكي» في خانة الريادة الصهيونية الداعية إلى العنف والإرهاب ، فإنه كما أسلفنا ، لا ينبغي أن ننخدع بترويج القيادة الصهيونية الرامي إلى حصر التحرك الإرهابي في شخصه ومنظماته وتلاميذه ، إنما الإرهاب والعنف كانا صياغة صهيونية متفقاً عليها كمرتكز للتحرك المطلوب ومازالا كذلك وإن ارتدى أشكالاً جديدة وتوجهات مختلفة . حتى عندما مارست القيادة العسكرية اليهودية دورها في إستلاب فلسطين جعلت من الإرهاب سبيلها لتحقيق ذلك .

المنظمات العسكرية والإرهاب:

لقد آمنت المنظمات العسكرية - التي أنشئت منذ بداية العشرينيات من القرن الماضي في فلسطين - تحت سمع وبصر سلطة الانتداب البريطانية - بالعنف والإرهاب سبيلاً لتحقيق أهدافها ، ومنذ اختبار الهاجاناه. (٢٤) الذي بدأت به أعمالها الإرهابية في الرابع من إبريل عام ١٩٢٠ في الأحداث المعروفة « بيوم النبي موسى» والتي هاجمت فيها عناصر منظمة الهاجاناه العناصر العربية المحتفلة بأعياد الفصح عند المسيحيين، وسقوط القتلى من الجانبين اليهودي والعربي ، ولأن رد فعل الجانب البريطاني صاحب التصريح الشهير المعروف بتصريح بلفور والمؤيد للجانب اليهودي؛ لم تكن على مستوى الأحداث فقد توالت المواقف المشابهة التي تتعرض فيها العناصر المسلحة اليهودية للعرب في فلسطين وتتسبب في أحداث دامية مثل أحداث «يوم البراق» في الخامس عشر من أغسطس عام ١٩٢٩، وتقرير لجنة «شو Shaw » الذي أدانها وحمّل اليهود المسئولية عنها. (٢٥)

وفي عام ١٩٣٧ شكل زئيف جابوتنسكي «الارجون تسفئ لؤمى» Irgun Zvai Lami أو ما يعرف بالعربية « بالمنظمة العسكرية القومية » واختصاراً « الارجون» أو « إتسل»، بعد إختلافه مع الهاجاناه في درجة العنف الواجب إتخاذها تجاه العرب والقوات البريطانية في فلسطين؛ وليس اختلافاً حول المنهج أو الأسلوب . وزايدت «الارجون» على الهاجاناه وجعلت شعارها المرسوم يد ممدودة تمسك ببندقية مُشرّعة مرسومة على خلفية لفلسطين وشرق الأردن ومكتوب على جانبي الشعار « راك كاخ »- أو هكذا فقط ، أي العنف والإرهاب هما السبيلان الوحيدان لتحقيق ما أسمته الارجون بإسرائيل التاريخية الممتدة عبر فلسطين وشرق الأردن، أي أن نهر الأردن يمر في وسطها وليس على حدودها. (٢٦) وخرجت من عباءة الارجون منظمة «لوحمى حيريوت يسرائيل» - أو «المقاتلون من أجل حرية إسرائيل» أو ما تعرف اختصاراً «ليحي» او «شترن». وأصبح هناك جيلٌ يهودي صهيوني يؤمن بالعنف والإرهاب ، كما وصف مناحم بيجين تلميذ جابوتنسكي النجيب «كيف أصبح جابوتنسكي أستاذاً لجيل كامل

من الإرهابيين يعلمهم كيف يقاومون ويكونون مستعدين للتمرد والإرهاب».(٢٧) ويوضح بيجين كيف أن منطق «الحقد والكراهية » تحول في مفهوم الارجون إلى وسيلة للارتقاء العالمي، وشبهها - الحقد والكراهية - بالسيف المسلط لحساب قضية التقدم البشرى . ويستطرد بيجين: «أن هذه الكراهية كانت هي المجال لإظهار شعورنا الأعلى». (٢٨)

ورغم التوتر الذي حدث في العلاقات بين المنظمات الصهيونية الإرهابية عقب إغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطاني بالقاهرة على يد اثنين من «ليحي» عام ١٩٤٣ وكان «بن جوريون»، رئيس الوكالة اليهودية والمسئول عن الأمن فيها آنذاك، قد هدد بمحاربة من أسماهم بالإرهابيين ووصفه «الارجون» و «ليحي» بالعصابات الإرهابية التي لا ينبغي التهاون معها. (٢٩) وظن من يستمع إلى « بن جوريون» في حديثه أمام أعضاء الهستدروت في تل أبيب عقب الحادث الذي أودى باللورد موين ، أن الرجل سوف يتخذ الخطوات الجادة التي تحظر عمل المنظمتين الإرهابيتين من وجهة نظره ، الارجون وليحي ، ولكن الواقع يوضح أن تهديدات «بن جوريون» لم تخرج عن حدود كلماته . بل إننا نجد أن هناك اتفاقاً يتوصل إليه قادة الهاجاناه والارجون وليحي في عام ١٩٤٥ ، وكان باكورة العمليات الناتجة عن الاتفاق، إغراق قاربين في «حيفا » وثالث في يافا للقوات البريطانية ، كانت تستخدمها الدوريات الساحلية لمنع تسلل المهاجرين اليهود . وأيضاً قطع السكك الحديدية في مائة وست وثمانين نقطة وحوالي خمسمائة انفجار وتعطيل السكك الحديدية من سوريا إلى غزة. (٣٠) وفي فبراير عام ١٩٤٦ تمت مهاجمة منشآت الشرطة خفيفة الحركة التي أُنشئت لمقاومة الهجرة غير الشرعية، والعديد من الكباري على الحدود. (٣١)

وجاء نسف فندق الملك داوود بالقدس في يوليو عام ١٩٤٦ ليجسد قمة التخطيط الإرهابي المنظم على الصعيد الصهيوني ، رغم ما حاولته الوكالة اليهودية في التنصل من المسئولية ، إلا أن هذا الحادث الذي وقع قرب نهاية الاتفاق الرسمي بين التنظيمات الثلاثة والذي لم يتعد العشرة شهور جاء خير معبر عن أصالة الإجرام الصهيوني وعنفه . فقد جاء التفكير في نسف « فندق الملك داوود» والذي كانت تشغل

الجزء الجنوبي منه بعض المؤسسات المركزية في نظام الحكم البريطاني إبان الحرب العالمية الثانية ، مثل القيادة العامة للقوات البريطانية ، وأيضاً جهاز مخابراتها . وخططت الارجون لعملية النسف وذلك عن طريق استخدام المتفجرات والتي تعمل عن طريق جهاز للتفجير مبتكر إلا أن الهاجاناه أرجأت تنفيذ العملية عدة مرات . وكانت الارجون تأمل في نجاح هذه العملية التي تبغي من ورائها إظهار القوة للبريطانيين، والقدرة على الوصول حتى لقيادتهم ، علاوة على إرهاب العرب وتخويفهم، وما سيحققه ذلك من رعاية على الصعيد الصهيوني للارجون نفسها .

وحانت فرصة الارجون عندما هاجمت القوات البريطانية مقر الوكالة اليهودية في القدس في التاسع والعشرين من يونيو عام ١٩٤٦ ، والتي يشير الكثير من الصهيونيين إلى الارجون بأصابع الاتهام في أن لها يداً في ذلك حيث أرادت إثارة الهاجاناه والوكالة اليهودية ، حتى تتحركا في طريق الإنتقام وبالتالى فلن تجد خيراً من خطة الهجوم على الفندق مجالاً لتوجيه إنتقامها ، ويؤيد « بيجين» هذا الزعم الصهيوني عندما يذكر أنه كان متأكداً من أن الوكالة اليهودية سوف تقبل بخطة الفندق وتنفذها ، حيث أن مُنظّري سياستها كانوا ينشدون إيجاد علاقة رياضية من نوع ما بين الهجوم والانتقام . وأنهم ذهبوا في ذلك إلى صياغة معادلتهم الشهيرة «أن مدى الانتقام يساوي مقدار الهجوم » . وصدق حدس بيجين فلم يمض يومان على حادث الهجوم على الوكالة اليهودية حتى أرسلت الهاجاناه في الأول من يوليو عام ١٩٤٦ خطاباً تعلن موافقتها على تنفيذ عملية نسف الفندق وجاء في الخطاب : « شلوم»!

١- عليكم تنفيذ (شك) ومنزل عبدك ومنفذك بأسرع ما يمكن . نفاذ بالتاريخ والأفضل إتمام العمليتين في نفس الوقت . لا تفصحوا عن صفة الهيئة التي تتولى تنفيذ العملية - بطريق مباشر أو أسلوب ضمني .

٢- نحن بصدد إعداد شيء ما ، وسنبلغكم بالتفاصيل في حينها.

٣- ستبعد تل أبيب وما جاورها من جميع العمليات . نحن جميعاً معنيون بحماية تل أبيب باعتبارها مركز الحياة في اليشوف ومركز نشاطنا إذا توقفت الحركة في تل

أبيب بسبب حظر التجول وإجراءات القبض نتيجة لأية عملية فسوف نتوقف نحن ومخططاتنا عن العمل. وبهذه المناسبة لا تتجمع المراكز الحساسة للأطراف الأخرى هنا ولذا فإن تل أبيب ، خارج الحدود ، بالنسبة للقوات اليهودية. (٣٢)

وفي الساعة الثانية عشر ظهر اليوم الثاني والعشرين من يوليو عام ١٩٤٦ دوى الانفجار الهائل الذي هز القدس وانشق مبنى الفندق كما لو كان قد تم قطعه بسكين. (٣٣)

وكالعادة يحاول «بيجين» أن يُغلف عنفه بغلاف إنساني رقيق فيذكر أنه مما زاد خسائر الفندق أن رواده لم يستجيبوا للتحذير الذي كان قد أرسله إلى إدارة الفندق ومكتب بريد فلسطين والقنصلية الفرنسية في القدس ويتساءل «بيجين» في تبجح لماذا لم يخلوا الفندق! (٣٤)

وقامت الوكالة اليهودية وأجهزتها الرسمية بشجب هذه العملية وتنصلت من أي دور قد يُنسب إليها . وفي حديث صحفي لصحيفة «فرانس سوار» الباريسية استنكر «بن جوريون» ما قامت به الارجون مدعياً عليها بأنها عدوة اليهود، وفي إذاعتها إستنكرت «الهاجاناه» الخسائر الفادحة التي سببتها عملية نسف الفندق. (٣٥)

وذكر «بيجين» في كتابه « التمرد -The Revdt » أنه تقابل بعد ذلك مع «إسرائيل جاليلي» عضو الهاجاناه والذي أوضح له أن تنصل منظمته من العملية جاء بسبب غضب «يتحساق تساديه» زعيم الهاجاناه من إختلاف التوقيت والذي كان من المفترض أن يتم فيما بين الساعة الثانية والثالثة بعد الظهر ، ولكن بيجين يعود فيذكر أن الخطة بموعدها كاملة كانت في يد الهاجاناه وعلى علم تام بها. (٣٦)

وقد أكد التقرير الإعلامي الذي أصدرته الحكومة البريطانية حول أعمال العنف بعد الحادثة والمعروف باسم «الكتاب الأبيض عن العنف White paper on terroism والمنشور في يوليو ١٩٤٦؛ التحالف الكامل بين الوكالة اليهودية والهاجاناه والمنظمات العسكرية «الارجون» و«ليحي»، وأورد التقرير مجموعة من البرقيات والوثائق والبيانات الصادرة عن الحركة الصهيونية. (٣٧)

وقد علق مناحم بيجين على هذا التقرير قائلاً: «يجب أن أُسجل أن هذه الورقة البيضاء الخاصة عن العنف في فلسطين كانت واحدة من الوثائق البريطانية القليلة عن فلسطين مما قرأته ، وكانت خلوا من أي تحريف». (٣٨)

على الرغم أن حادث فندق الملك داوود والقبض على بعض من زعماء الوكالة اليهودية انهت سياسة التحالف المعلن بين «الارجون» و «ليحي»، من جهة والوكالة اليهودية وتنظيمها الهاجاناه من جهة أخرى ، إلا أن عمليات «الارجون» إستمرت ضد القوات البريطانية في إطار ممارسة الضغط الصهيوني على سلطات الانتداب وحصر ذلك في إطار أن المنشقين أو المنسحبين هم الذين ينفذون العمليات ضد القوات البريطانية أو العرب. ويقصد بالمنسحبين أساساً منظمتي «الارجون» و «ليحي». فقد أقدمت الارجون على إعدام الضباط البريطانيين، كما حدث عندما اعدمت اثنين منهم، في التاسع والعشرين من يوليو عام ١٩٤٧، انتقاماً لإعدام ثلاثة من رجال الارجون . بل تعدت أعمال الإرهاب ضد البريطانيين حدود فلسطين حيث قام بعض من أعضاء الارجون بإلقاء القنابل على السفارة البريطانية في روما في الحادي والثلاثين من أكتوبر عام ١٩٤٦. (٣٩)

ولم تكن الهاجاناه بعيدة عن ممارسة الإرهاب ضد العرب وحتى سلطات الانتداب التي تعلم أنها تقف إلى جانب اليهود ، ولكنها في إطار ممارسة الضغط تريد المزيد من التأييد والدعم للموقف الصهيوني . وتقف إلى جانب المنشقين في إطار الانتقام لهم ضد ما حدث لأعضاء منظمة «الارجون» الذين قاموا بإلقاء قنبلة على تجمع للعمال العرب يوم رأس السنة الميلادية عام ١٩٤٨، عند مصفاة البترول في حيفا ، فقتلوا ستة من العرب الباحثين عن عمل وجرحوا العشرات غيرهم . وكرد فعل تلقائي قام العرب بمهاجمة مجموعة من اليهود يعملون في مصافي البترول وقتلوا مجموعة منهم إنتقاماً لمقتل العرب الستة ؛ ورغم ما أظهرته التحقيقات التي أجرتها السلطات البريطانية عن مسئولية أعضاء «الارجون» عن هذه الأحداث ، إلا أن الهاجاناه قامت بالإغارة على « بلدة الشيخ » القريبة من حيفا بقوة مشكلة من الكتيبة الأولى «للبلماح». (٤٠) ومن لواء كرملي بقيادة « حاييم أفنوعام » مستخدمة كافة أنواع

الأسلحة وخاصة القنابل ذات التدمير الهائل والدوي الشديد . ويصف قائد العملية «افنوعام» تلك العملية وكيف تسللت قواته إلى داخل القرية تحت جنح الظلام وأخذت تعمل داخل المنازل قتلاً وتنكيلاً ، وأنه بسبب كثافة النيران لم يستطع تجنب إصابة النساء والأطفال ، وقد أسفرت هذه المذبحة عن مقتل ستين عربياً ، وتدمير معظم مباني القرية. [٤١]

وتبدأ الهاجاناه عمليات عدة في إطار الإرهاب للجانب العربي والقضاء على مقاومته فقد نفذت الكتيبة الثالثة التابعة للبلماح هجوماً ليلياً غادراً أسفر عن تدمير عشرين منزلاً وقتل ستين عربياً معظمهم من النساء والأطفال ، وفي معركة القطمون هاجمت قوات من الكتيبة الرابعة التابعة للبلماح نساء عربيات يعملن كخادمات لدير «سان سيمون» وقتلت بعضهن. [٤٢]، ورغم أن هذه المعلومات قد ذكرها المؤرخ اليهودي المستقل «آرييه يتسحاقي» إلا أنه أغفل العديد من العمليات التي نفذتها الهاجاناه ضد القرى العربية ، ومارست فيها القتل والنسف والتدمير ومنها قرى الخصاص والحسينية (صفد)، قزازه (الرمله)، وأبوشوشة وشفاعمر (حيفا)، وتمر (الناصره) ، وعرب صقرير (غزة)،وبيار عدس وأبوكبير (يافا).

لقد مارست الهاجاناه الإرهاب ضد القرى العربية واتبعت الأساليب التي علمها إياها «أوردوينحت» بالقيام بالإغارات الليلية لتحقيق المفاجأة وممارسة أقسى صنوف الغدر ضد العرب من نسف وحرق وقتل النساء والأطفال . ولذا فإن المؤرخين اليهود من أمثال «آرييه يتسحاقي» الذي عمل في دائرة التاريخ التابعة لوزارة الدفاع الإسرائيلية مدة طويلة لم يستطع أن يستثني « الهاجاناه» كتنظيم عسكري رسمي لليشوف اليهودي في فلسطين من اشتراكه في العمليات الإرهابية التي مورست ضد العرب والتي زادت معدلاتها منذ قرار التقسيم ، وكان ذلك يتم بغرض إحداث نوع من الرعب في نفوس العرب البسطاء من أهل القرى ، وإظهار مدى قدرة الهاجاناه ، وذراعها الطويلة التي تمكنها من الوصول إلى عمق الريف العربي الفلسطيني ولذا فإن الارجون وفي إطار المنافسة مع الهاجاناه على أساس أنها جيش مواز كان يعمل وفقاً لخط سياسي خاص به قامت بتنفيذ عدد من العمليات الإرهابية ضد التجمعات

العربية، وخاصة في الأماكن التي كان فيها أعضاء المنظمة كبيراً نسبياً ، مثل تل أبيب والقدس والمستعمرات الكبيرة .

وفي عمليات مشابهة لما كانت تقوم به الهاجاناه قامت الارجون بسلسلة من الهجمات مثل التي تمت في السادس من ديسمبر عام ١٩٤٧ حيث قامت عناصر تابعة لها بمهاجمة حي «أبوكبير» ولكن الهجوم فشل نظراً للمقاومة التي أبداها أهالى الحي وأصيب العديد من أعضاء الارجون وانسحبوا إلى «حولون» حيث اعتنى بهم رجال الهاجاناه في إطار التنسيق بينهما .

وفي الثالث عشر من ديسمبر عام ١٩٤٧ قامت الارجون بخمس هجمات ضد العرب في هذا اليوم . ففي القدس ألقى أفراد تابعون للارجون قنابل في باب الزاهرة تسببت في مقتل عشرة من العرب وجرح عشرات آخرين . وفي يافا تسلل عدد من أعضاء الارجون مرتدين زياً عربياً وألقوا بقنبلة على مقهى مكتظ بالعرب مما أدى إلى مقتل ستة منهم وجرح كثيرين آخرين . كما تسللت مجموعة ثالثة إلى «اليهودية » مستخدمة أربع سيارات ووضع أفرادها مواداً متفجرة قرب عدد من البيوت وأشعلوها وانصرفوا وفي نفس اليوم هاجمت مجموعة أخرى قرية الطيرة (قضاء حيفا) وقتلت ثلاثة عشر عربياً. [٤٣] وفي الثلاثين من ديسمبر شنت قوات منظمة الارجون هجوماً آخر في باب الزاهرة «في القدس» أسفر عن مقتل سبعة عشر عربياً وبريطانياً . غير هجوم الارجون الذي تم على العرب عند مصافي البترول في حيفا وأسفر عن مقتل ستة من العرب يوم الأول من يناير عام ١٩٤٨ . وفي السابع من يناير يوم احتفال الروم الأرثوذكس من العرب بعيد الميلاد المجيد قامت دورية من « الارجون » بالهجوم على مجموعة من العرب عند باب الخليل فقتلت خمسة وعشرين عربياً . وفي الرابع والعشرين من فبراير أطلق أفراد من الارجون النيران في اتجاه قلقيلية والرمله وإلقاء عدد من القنابل على قرية قانون. [٤٤] هذا غير العديد من العمليات الإرهابية التي قامت بها منظمة «لوحمي حيروت يسرائيل». « ليحي»، أهمها العملية التي قامت بها في يافا عندما فجرت سيارة مفخخة في مبنى الهيئة العربية مما أدى إلى مقتل ستة وعشرين عربياً وإصابة العشرات . وتعترف قيادة الهجاناه أن «ليحي» قد نسقت

عملياتها معها. [٤٥] غير التنسيق الذي كان موجوداً من الأصل بين قيادات هذه المنظمات، أو عن طريق رؤساء البلديات من اليهود أو المسئولين في الوكالة اليهودية أو غيرها من مؤسسات اليشوف العبري المتعاطفين مع «الارجون» و «ليحي» .

وهكذا فإن التسابق نحو الإرهاب شمل جميع المنظمات اليهودية العاملة في فلسطين وزادت حدة الإرهاب منذ صدور قرار التقسيم في التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤٧ وحتى بدايات شهر إبريل عام ١٩٤٧ حيث تم تنفيذ مذبحة «دير ياسين» . وكان من أهم النتائج التي أحدثتها تلك الهجمات ، حالة الفزع التي انتابت الجانب العربي وخاصة في قطاع الريف الفلسطيني وسببت نزوحاً محدوداً داخل فلسطين بعيداً عن المناطق القريبة من المستعمرات اليهودية، [٤٦] وخاصة في ظل سلبية القوات البريطانية في التعامل مع الإرهاب اليهودي، إما بالتواطؤ مع اليهود أو إنشغالاً بالاستعداد لإنهاء الانتداب وسحب القوات البريطانية من فلسطين .

دير ياسين في إطار الخطة النفسية لإرهاب عرب فلسطين:

لقد أعلنت منظمتا الارجون وليحي رفضهما لقرار التقسيم على اعتبار أنه لا يحقق الأماني الصهيونية كما رسمها الأب الروحي لليمين الصهيوني «زئيف جابونتسكى».(٤٧) والذي أوضح أن الدولة اليهودية ينبغي أن تشمل ما أسماه بكامل أرض إسرائيل أو إسرائيل الكبرى . وأن القدس هي العاصمة الأبدية لإسرائيل ولذا فإن ما أقرته الأمم المتحدة في قرار التقسيم باستثناء القدس كمنطقة دولية واقتراح قيام دولة عربية على ما اعتبروه التراب العبري، إنما هو باطل ويجب عدم الاعتراف به .

وفي إطار التنافس بين المنظمات الإرهابية ، عملت الارجون على تدعيم موقفها في محيط مدينة القدس وريفها ، على أساس التجمع الأكبر لليهود الموجود في القدس ومزايدة على موقف الهاجاناه التي يعتبرونها وريث الحركة العمالية المسيطرة على اليشوف اليهودي ، وتفريطها في الحقوق التاريخية لليهود في القدس ، بالقبول بمبدأ التقسيم ، واستثناء كل من القدس والمناطق الممنوحة للدولة العربية المقترحة عن الدولة العبرية المنشودة على كل التراب الفلسطيني من وجهة نظرهم . وبالقطع فإن الدارس المدقق ليعلم أن الصهيونية الرسمية كانت تعتبر قرار التقسيم مرحلة في إطار السيطرة الكاملة على فلسطين كلها . ولتنفيذ هذا الأمر أعدت الهاجاناه ونفذت الخطط العسكرية التي تستهدف السيطرة الكاملة على التراب الفلسطيني وخاصة الخطة دالت التي استهدفت الكثير من المناطق المقررة للدولة العربية المقترحة طبقاً لقرار التقسيم ، وأيضاً القدس وريفها المقرر أن تكونا ضمن المنطقة الدولية .

وقد استهلت القوات اليهودية عملياتها للإعداد للخطة دالت بالعملية نحشون والتي هاجمت فيها القسطل العربية في إطار تأمين الطريق الواصل بين القدس والساحل. وأثناء تنفيذ تلك العملية رأت قيادتا منظمتي الارجون وليحي إتمام عملية مشابهة حتى لا تتأثر شعبيتهما في الوسط اليهودي في القدس ، واختارا لذلك مهاجمة «دير ياسين».

وفي إطار التنسيق بين المنظمات الصهيونية تقابل القادة المحليون للمنظمات اليهودية في القدس لدراسة الموقف ، وقد حاول قائد الهاجاناه المحلي «دافيد شالتئيل» أن يثني قائدي الارجون وليحي مؤقتاً عن مهاجمة دير ياسين واقترح عليهما الاشتراك مع الهاجاناه في عملية القسطل الدائرة ، ولما رفضا اقترح عليهما مهاجمة «عين كارم » الواقعة جنوب «دير ياسين» وذلك لأن أهالي دير ياسين كانوا قد عقدوا اتفاق عدم اعتداء في مارس مع رؤساء جيفعات شاؤول الحي اليهودي الأقرب إليها.(٤٨)، كما عرض شالتئيل عليهما مهاجمة قرية قالونيا وليفعلا ما يحلوا لهما من «قتل وتدمير ونسف» (٤٩) ولكن قائدي الارجون وليحي رفضا هذا الاقتراح أيضاً وجاء رفضهما لعلمهما أن قواتهما يمكن أن تواجه بمقاومات لا قبل لها بها ، وليقينهما أن «دير ياسين» ليس بها أي أفراد من رجالات المقاومة العربية آنذاك . والأهم أن قائدي الارجون وليحي شعرا بأنهما يمكن أن يفاجئا القرية نظراً لعدم توقعها اعتداء عليها ارتباطاً بالاتفاق السابق مع اليهود المحيطين بالقدس.

ورغم أن قائد الهاجاناه المحلي أوضح لقائدي الارجون وليحي أن احتلال وتدمير قرية «دير ياسين» يأتي في إطار خطة الهاجاناه ولكن الوقت لم يحن لذلك ، وإزاء إصرار قائدي الارجون وليحي على تنفيذ هجومهما على دير ياسين ، لم يجد شالتئيل بدأ من الموافقة خوفاً من حدوث فتنة بين القوات اليهودية - حسب قوله - إذا حاول منعهما بالقوة.

وأرسل قائد الهاجاناه المحلي إلى قائدي الارجون (مردخاي رعنان)، وليحي (يهوشع زطلر) في السابع من إبريل برقية جاء فيها : «أود أن أشير أن احتلال دير ياسين والاحتفاظ بها يمثلان مرحلة في خطتنا العامة ولا مانع من قيامكم بالعملية شريطة الاحتفاظ بها ، وإذا كنتم غير قادرين على أن تفعلوا ذلك فإني أحذركم من نسف القرية ، الذي سيترتب عليه أن يهجرها سكانها ، وتحتل خرائبها ومنازلها المهجورة قوات أجنبية . إن هذا الموقف سوف يزيد من مصاعبنا في معركتنا العامة بدلاً من أن يخفف منها ، وأن غزو القرية ثانية سيكلفنا تضحيات جسيمة ، علاوة على ذلك فإن دخول قوات أجنبية إلى المكان سوف تعرقل خطتنا في إنشاء مطار». (٥٠)

ومن ثنايا البرقية يمكننا أن نؤكد أن الهاجاناه كانت على علم تام بخطة الهجوم ، وأن التحفظ الوحيد الذي أبدته قيادتها هو على مدى قدرة القوات المهاجمة على الاحتفاظ بالقرية لأطول فترة ممكنة، وهو أمر مرتبط بالالتزام بالخطة «دالت» والتمسك بالمناطق التي تهاجمها القوات اليهودية.

وفي اجتماع عقده « بن زيون كوهين » قائد عملية الهجوم وحضره معه من الارجون كل من «يهودا ليبدوت» و«يهوشع جولد شميت» [٥١]، وعن ليحي حضره «بتحيا زليفسكى » و «موردخاى بن عوزيهو »، حيث تمت مناقشة تفاصيل خطة الهجوم ، وقد اقترحت قيادات ليحي ضرورة تصفية كل سكان القرية سواء كانوا من الرجال أو حتى من النساء ما لم يتعاونوا معهم ، حتى يُعلم بما حدث وكيف يكون الأمر عندما يقوم الارجون وليحي بعمل مشترك ، ولتصبح «دير ياسين» نقطة تحول في القتال بين اليهود والعرب وتم تزويد كل مهاجم بقنبلتين يدويتين ، ومسدس وعصا غليظة لاستخدامها عند اللزوم ضد الجرحى وبلغ عدد المهاجمين من الارجون سبعين فرداً ومن ليحي أربعون فرداً وأعدت ليحي عربة تندر كانت قد سرقتها من الجيش البريطاني وركبت عليها مكبر صوت لتقوم بعملية بث الرعب في نفوس أهالي القرية ودعوتهم إلى الاستسلام والفرار نجاة بأنفسهم . ولكن العربة سقطت في حفرة كان قد حفرها أهالى القرية تحسباً لأي طارئ ، وتعطل مكبر الصوت نتيجة السقوط ولم يعمل. [٥٢]

اكتشف أهالي القرية تقدم العناصر المهاجمة والتي كان بعضها قد تسلل إلى القرية وقابلهم المغيرين بإطلاق النار عليهم . وتمكن اليهود من السيطرة على معظم أرجاء القرية عدا الجزء الجنوبي الغربي ، والذي استمرت النيران تطلق منه تجاه القوة المغيرة ، وكما يصف «مئير بعيل» - ضابط مخابرات الهاجاناه - والذي رافق القوة المغيرة على أنه واحد منها ، الموقف فيقول : «إنه ساد المعركة نوع من عدم الحسم وخاصة على ضوء سقوط أربعة قتلى من القوة المغيرة وحوالى أربعين جريح ، وأيضاً لموقف الذخيرة التي أوشكت على النفاد. ونظراً لذلك فقد قرر قائد العملية إرسال أحد أفراد منظمة ليحي» [٥٣] إلى معسكر «شنلر» في القدس طلباً لمعونة

الهاجاناه ، وبالفعل توجهت سرية من البلماح ، بعد استئذان قائد الهاجاناه المحلي ، مسلحة بأسلحتها ومدفع هاون عيار ٢ بوصة ، والذي صوب نيرانه تجاه المنزل الذي كانت النيران ما زالت تُطلق منه ، حتى تمكن من إسكاته، [٥٤] في نفس الوقت الذي لم تصل القرية أى نجدات عربية وخاصة من قوات «الفيلق العربي» الأردنية ، الذي كان مرابطاً في فلسطين.

وأحكمت سرية البلماح سيطرتها على القرية ، وخرج أفراد الارجون وليحي من أماكن مخبئهم ، وأخذوا يطلقون نيران أسلحتهم عشوائياً تجاه منازل القرية ويلقون بالقنابل التي في حوزتهم داخلها غير مبالين بصراخ الأطفال وعويل النساء، ولم يمنع القادة جنودهم من مواصلة عملية القتل العشوائي والمتعمد .

ويذكر «مئير بعيل»، ضابط مخابرات الهاجاناه المرافق لعملية الهجوم ، ذاكراً أنه حاول عبثاً أن يحث قادة الهجوم أن يصدروا تعليماتهم بوقف إطلاق النيران خاصة بعد التأكد من عدم مبادلة أهالي القرية لهم إطلاق النيران. [٥٥] وأخذ جنود الارجون وليحي يفتشون المنازل ومن يجدونه داخلها كانوا يأمرونه بالاستناد إلى أحد الجدران ويطلقون عليه النار وينقضون على الجرحى بالهروات حتى يخمدوا أنفاسهم توفيراً للذخيرة التي في حوزتهم. [٥٦] وفي النهاية تم أسر خمسة وعشرين من أهالي القرية الباقين على قيد الحياة وحملوهم في سيارة شحن جابت بهم بعض أحياء القدس ذات الكثافة اليهودية مثل حي «محانية يهودا» و «زخرون يوسف» على غرار جولات الانتصار الروماني، [٥٧] وسط هتافات الجموع اليهودية المحتشدة على جانبي الطرقات. [٥٨] وفي نهاية الجولة اقتاد أفراد «الأرجون» و « ليحي» هؤلاء الأسرى إلى أحد المحاجر عند مدخل القرية وقتلوهم بدم بارد . Killed them in cold blood - ووصل عدد الشهداء من أهالي القرية إلى مائتين وخمسة وأربعين شهيداً [٥٩] أما الناجون من المذبحة وعددهم يتراوح ما بين مائتين ومائتين وخمسين رجلاً وامرأة وطفل فقد تم نقلهم في أربع شاحنات إلى القدس الشرقية ، كما يروي عن ذلك قادة الارجون ، ليكونوا شهوداً على فظاعة الفعل اليهودي . وعقد قائدا الارجون وليحي مؤتمراً صحفياً أعلنا فيه تفاصيل ما تم في القرية. [٦٠]

ويؤكد «مئير بعيل» وهو اليهودي والصهيوني ، صدق روايته عن مأساة «دير ياسين» حيث كان حاضراً لكل مراحلها منذ بدايتها وحتى النهاية ، ويوضح « بعيل» أنه لم يكن هناك مبرر لعملية القتل المتعمد ضد العرب وخاصة بعد السيطرة اليهودية على القرية وإن إقتحام المنازل كان للقتل وليس للتطهير . ويتعجب الرجل من تباهي قادة الارجون ... وليحي بعملية «دير ياسين» والتي يعتبرونها نقطة التحول الكبرى في الحرب لصالح اليهود لما بثته من ذعر في نفوس العرب وأدت بهم إلى ترك قراهم.(٦١)

وكان للإعلام العربي آنذاك دور في إظهار مدى المأساة التي حلت «بدير ياسين»، وقام بوصف تفصيلي للأحداث . مثلما فعل الدكتور حسين الخالدي أمين سر الهيئة العربية العليا في بياناته التي سجل فيها دقائق الأمور ، ولكن للأسف فقد أدى هذا الأمر إلى عكس ما كان يريد من تنبيه الرأي العام بفظائع الإرهاب الصهيوني ، حيث ساعد ذلك أكثر على زيادة الرعب في نفوس الأهلين من العرب وأدى بهم الحال إلى هجرة قراهم وبلدانهم . (٦٢)

وعلى الرغم من أن القيادة الصهيونية الرسمية حاولت التنصل من أثر الفعل الذي تم في «دير ياسين» وتنسبه إلى من تسميهم بالمنشقين من الارجون وليحي ، فإن التحليل الموضوعي للأحداث يوضح بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك تنسيقاً تاماً بين الفريقين الصهيونيين .

وإذا كانت كل المؤسسات الصهيونية الرسمية والدينية قد وصمت ما حدث بالبربرية وأنه قد جلب الخزي والعار على اليهود ، فإننا نجد أن ما تم في دير ياسين قد تم فعل الكثير مثله كما يقول « آرييه يتسحافي» المؤرخ اليهودي ، وأن هذا الأمر مألوف إلى حد بعيد في حالة احتلال القرى العربية من نسف لأكبر عدد من المنازل وقتل الشيوخ والنساء والأطفال في حال المقاومة ، إلا أن ماحدث في «دير ياسين» كان يفوق الوصف. (٦٣)

وإذا عدنا إلى ما حدث في دير ياسين فسوف نتأكد أن الصهيونية الرسمية كانت على علم تام بمخططات الارجون وليحي، وأن ذلك يتضح جلياً من مقابلة «دافيد شالتئيل» قائد الهاجاناه المحلي في القدس لكل من «مردخاي رعنان» و «يهوشع زطلر» القائدان المحليان في القدس للارجون وليحي . وأيضاً البرقية التي أرسلها يوم السابع من إبريل إليهما ، وأن اهتمام قائد الهاجاناه المحلي إنصب على الاحتفاظ بالقرية من قبل المهاجمين اليهود وعدم تركها حتى لا يعاود رجال المقاومة العربية استعادتها.

ومن جهة أخرى فإن ما يدل على التنسيق بين الهاجاناه ومهاجمي دير ياسين هو مسارعة سرية من البلماح إلى نجدة المهاجمين من الارجون وليحي والتعامل مع مصدر النيران الذي كان قد أوقف تقدمهم . وبالفعل فإنه يمكن القول إن وحدة البلماح التابعة للهاجاناه والقادمة من معسكر شنلر بالقدس ، والتي تلقت أوامر بتحركها من شالتئيل شخصياً هي التي قامت باحتلال دير ياسين وتسليمها إلى مقاتلي الارجون وليحي الذين مارسوا فيها ما تم سرده من قتل وذبح وتدمير ، وأن تحفظ قائد الهاجاناه كان خاصاً بتوقيت العملية . ونلاحظ أنه عندما طرح على قائدي الارجون وليحي البدائل أقرهما فيما يمكن أن تمارسه قواتهم من «قتل وتدمير ونسف» في إطار تشجيعهما على اختيار هدف آخر غير «دير ياسين». (٦٤)

وقد أبدى «يجئال ألون» قائد البلماح آنذاك تعاطفا مع ما تم في «دير ياسين»، من خلال الإقرار بأن عشرات القرى العربية والواقعة في نطاق القدس على وجه الخصوص قد تعرضت للاحتلال والتهجير بعد أن أبدى سكانها مقاومة ضد القوات اليهودية ، وأن هذا أمر كان مألوفاً في القتال في هذا الوقت. (٦٥)

ولم يجد مناحم بيجين القائد الأعلى للارجون في معرض حديثه عن دير ياسين سوى استعراض ما أسماه «بالتوجه الأخلاقي» معتبراً أن إرسال عربة عليها مكبر صوت لإخلاء القرية ، إنما كان يمثل خطراً على المهاجمين لأنه يبدد عنصر المفاجأة.(٦٦)، ونسي بيجين أمرين أولهما: أن أسلوب مكبرات الصوت ابتدعته القوات اليهودية في فلسطين لإرهاب الأهالي وخاصة مناطق الريف ، ولإحداث الأثر

النفسي العكسي عليهم ، مقلدة القوات الألمانية التي كانت تتبع نفس الأساليب التي ابتدعها جوبلز وزير الدعاية النازي في الحرب العالمية الثانية . وثانياً : أن العربة التندر التي كان مكبر الصوت مركباً عليها قد تعطلت نتيجة سقوطها في حفرة عميقة أعدها أهالي دير ياسين على الطريق المؤدي إليها ، وأن الخسائر التي حدثت في صفوف القوات المهاجمة جاءت نتيجة تيقظ عرب دير ياسين وتوقعهم الهجوم المحتمل عليهم؛ ورغم ذلك فقد عاد مناحم بيجين ليشيد بالتأثير الكبير الذي أحدثه ما أسماه «أسطورة مذبحة دير ياسين» لدى المدنيين العرب في كافة أنحاء فلسطين من فزع ورعب ، لقد كانت تلك الأسطورة - على حد قوله - توازي إضافة بضع كتائب إلى قوات إسرائيل. (٦٧)

لقد أكدت أحداث «دير ياسين» على إيمان الصيهونية بالإرهاب وسيلة لتحقيق الأهداف وأفصحت بما لا يدع مجالاً للشك على أن الجميع مشتركون في هذا العمل المخزي وتلك المذبحة التي يندى لها الجبين، والتي ركزت عليها وسائل الإعلام التي كانت تتابع الصراع في فلسطين، وخاصة على ضوء تباهي قادة منظمتي الارجون وليحي بفعلتهم ، وعقدهم مؤتمراً صحفياً في القدس يعلنون فيه تفاصيل جريمتهم الشنعاء التي اعتبروها بطولة فذة . وقد حاولت الوكالة اليهودية التنصل مما حدث في «دير ياسين» على أساس أنه أضر بسمعة المقاتل العبري، على حد تعبيرهم ، وتناسوا أثره السئ على العرب . و كما أفصح دافيد شالتئيل قائد الهاجاناه في القدس في بيان أذاعه صوت الدفاع في يوم الاثنين الثاني عشر من إبريل أي بعد أربعة أيام من مذبحة دير ياسين ذاكراً : أن الخزي الذي أصاب المقاتل العبري ، والسلاح العبري ، والعَلَمْ العبري ، سوف يحتاج إلى وقت طويل حتى ينمحي من الذاكرة ، وأن ما قامت به الارجون وليحي ليعد من أعمال البربرية وليس عملاً بطولياً (٦٨) ويبدو أن شالتئيل نسي أنه قد أعطى للمهاجمين ضوءاً أخضر ليفعلوا مايشاؤون من «قتل وتدمير ونسف»، طالما أنه في المخطط العام الذي استقرت عليه الخطط اليهودية .

لقد عمدت القوات اليهودية إلى إعمال الأثر النفسي لأحداث دير ياسين ما تلاها من استخدام المواد الناسفة والمتفجرات التي تولد جحيماً ونيراناً شديدة ، والتي

وصلت إلى حد الزعم بأن اليهود يستخدمون القنابل الذرية .ومكبرات الصوت التي تذيع تسجيلات الفزع والرعب للفلسطينيين والمناشدة والوعيد الموجهين إليهم بالعربية للإسراع بالفرار من هذا الدمار الشامل الذي يحيط بهم، وأن الله يأمرهم بالنجاة حتى لا يلقوا بأيديهم إلى التهلكة ؛ وأنه إذا لم يغادروا ويرحلوا عن بيوتهم فسوف يحل بهم ما حل بدير ياسين. (٦٩)

إرهاب الدولة:

إذا كنا قد تحدثنا عن تأصيل العنف الصهيوني فكرياً والتطبيق الذي واكب مرحلة إنشاء الدولة وكيف كانت دير ياسين ومثيلاتها عنواناً واضحاً للعنف والإرهاب اللذين تؤمن بهما الصهيونية وقيادتها، وتجعلهما نبراساً لتحركاتها على الصعيد العملي . ولقد أفرزت اتفاقات الهدنة عام ١٩٤٩ وضعاً ساعد على ممارسة إسرائيل (الدولة) الإرهاب ضد الدول العربية المجاورة وخاصة على ضوء الرغبة الإسرائيلية في ضم المناطق المجردة من السلاح والتي نصت عليها اتفاقات الهدنة ورغم النص الذي لا يتيح لأي طرف في إدعاء السيادة على هذه الأماكن . إلا أن إسرائيل منذ قيامها سعت إلى ضم أراض جديدة لها غير مكتفية بالأراضي التي احتلتها من فلسطين .

فقامت في عام ١٩٤٨ باحتلال النقب الجنوبي أثناء مفاوضات الهدنة وطرد سكانها العرب وأعلنت ضمه إليها. [٧٠] ومن مارس عام ١٩٥٠ قامت بطرد آلاف من السكان العرب في منطقة مثلث العوجة على الحدود المصرية متبعة أساليب العنف في سبيل ذلك. [٧١] وفي نوفمبر قرر مجلس الأمن ضرورة جلاء القوات الإسرائيلية عن المنطقة إلا أنها في أكتوبر عام ١٩٥٣ عادت لاحتلالها وإقامة معسكر بها رغم احتجاجات المراقبين الدوليين على ذلك. [٧٢]

وقامت إسرائيل بإحتلال المناطق المجردة ويتعسفون مع سكانها العرب إما يطردونهم منها أو يضيقون عليهم معيشتهم . ومنذ سنواتها الأولى وإسرائيل لا تريد من وراء اعتداءاتها إلا مزيداً من المكاسب الإقليمية التي تعطيها ميزة أفضل استراتيجياً ،والقيادة الصهيونية لم تقبل في سنواتها الأولى بضمانات دولية لحدودها لأنها تريد مزيداً من التوسع على حساب جيرانها العرب . وهو ما أقره تقرير مجلس الأمن في عام ١٩٥٦. [٧٣]

ومنذ اللحظات الأولى لإعلان الدولة ، والقيادة الإسرائيلية تعلن أنها فوق القانون الدولي ومؤسساته فها هو «موشي شاريت» وزير الخارجية الأول لإسرائيل يعلن للكونت

برنادوت أحقية إسرائيل في القيام بأعمال انتقامية ضد الدول العربية لنقض اتفاقات الهدنة، (٧٤) ورغم إصدار مجلس الأمن قراراً هاماً ينص على عدم السماح بالقيام بأعمال عسكرية على أساس القيام بعمل انتقامي أو رادع ضد الطرف الآخر، (٧٥) ورغم تأكيد مجلس الأمن على هذا الأمر لأكثر من أربع مرات (٧٦)، إلا أن إسرائيل، وكما أوضح بعض خبرائها العسكريين، أفصحت عن أن سياسة الانتقام أصبحت جزءاً من خطتها لإجبار العرب على القبول بالسلام بالمنظور الإسرائيلي ، وكما علق على ذلك موشي برليانت ، «أن هذه السياسة العدوانية التي تقوم بها إسرائيل هي نتاج فكري سياسي وسيكولوجي بارد وغير عاطفي» .

جاء الاعتداء الإسرائيلي الغاشم على قطاع غزة في ٢٨- ٢٩ فبراير عام ١٩٥٥ حيث قامت كتيبتان مظليتان إسرائيليتان بالهجوم على غزة وكانتا مدربتين على حرب العصابات وحرب المدن ، أوقع ذلك الفعل العديد من القتلى الفلسطينيين المدنيين في غزة . ويبدو أن هذا الهجوم جاء إنتقاماً من إقدام مصر على إعدام اثنين من الجواسيس الإسرائيليين فيما عُرف بفضيحة لافون التي استهدفت مصالح ومنشآت بريطانية وأمريكية في القاهرة والإسكندرية للإساءة لعلاقات البلدين بالقاهرة . وأيضاً لمنع سلطات قناة السويس لسفينة شحن إسرائيلية «بات جاليم » من عبور قناة السويس. (٧٧)

وفي الخامس من إبريل عام ١٩٥٦ قامت إسرائيل بالهجوم على سوق مدينة غزة الذي كان عامراً في ذلك اليوم فقتلت ٥٦ من المدنيين وجرحت ١٠٣ آخرين ، وادعى الناطق بإسم الجيش الإسرائيلي أن هذا العدوان جاء رداً على حادث إطلاق النيران الذي تم في اليوم السابق مع القوات المصرية وتم احتواؤه ولم تقع بسببه أي خسائر.(٧٨) واستطرد الناطق الإسرائيلي أن القصف بمدافع الهاون الإسرائيلية إستهدف مناطق القيادة المصرية في وسط مدينة غزة ، وهو الزعم الذي كذبه كبير المراقبين الدوليين الجنرال «بيرنز Burns » وأكد أنه لا توجد في غزة أي قيادة مصرية وأن أقرب موقع مصري يبعد كيلومترين عن مركز القصف. (٧٩)

ولقد تعمدت إسرائيل إفشال مهمة السكرتير العام للأمم المتحدة «داج همرشولد» الذي كان مجلس الأمن قد طلب منه التوجه إلى منطقة الشرق الأوسط لاتخاذ ما يراه لازماً لتخفيف التوتر على خطوط الهدنة بين إسرائيل وجيرانها . (٨٠) وهو الأمر الذي لا ترضاه القيادة الإسرائيلية التي لا ترغب في ترتيب أوضاع الحدود بينها وبين جيرانها إلا بعد أن تكون قد استعدت لتوسعها وما تعتبره حدودها التاريخية . وهو ما عبر عنه أحد المراقبين الدوليين في تعليقه على العدوان الإسرائيلي في ١٢ ديسمبر عام ١٩٥٥ والذي قامت به إسرائيل على سوريا متهمة إياها بمنع الصيادين الإسرائيليين من الصيد من بحيرة طبريا . وقد أكد «هتشسون» المراقب الدولي بأن هذا الأمر لم يحدث وأن العدوان الذي تم مدبراً ولم يأت من فراغ كردة فعل: «واضح أن هذا العدوان قد تم الإعداد له واختيرت أهدافه من قبل وأنه كان يستهدف اختبار النوايا السورية المصرية لتنفيذ ميثاق الدفاع المشترك بينهما ، ولمنع أي خطوات للتقارب بين البلدان العربية ولدفعها نحو عمل مسلح، تختار إسرائيل توقيته ومكانه، يعطيها الفرصة لاحتلال المزيد من الأراضي العربية ».. ويستطرد المراقب الدولي معلقاً على ذلك قائلاً : « إن ذلك لا يمكن أن يكون لأمة راغبة بالسلام الحقيقي». (٨١)

إن المتتبع لحالة العدوان والعنف التي تبنتها السياسة الإسرائيلية في سنواتها الأولى لن تفوت عليه ملاحظة أن إسرائيل قد خططت لاستمرار حالة التوتر في المنطقة حيث أن ذلك يخدم أهدافها الاستراتيجية المتمثلة في التوسع والعدوان لإجبار العرب على القبول بالمفهوم الإسرائيلي للسلام . ولو تمعنا في سياق هذه الأحداث فسوف نلحظ أنها سياسة مستمرة حتى الآن .

لقد رفضت إسرائيل أن تكون تحت وصاية الأمم المتحدة التي أوجدتها وأن رفضها لوساطة همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة تأتي في إطار رفضها لأي وصاية دولية، أو خضوعها لأي مراقبة تمنع تصرفاتها نحو التوسع والذي لن يكون إلا بالعنف والإرهاب .

وأن تاريخ إسرائيل منذ سنواتها الأولى ينبئ عن ولادة دولة لا تؤمن بالسلام ولا تعمل له وأن هذا التوجه ليس فقط من القيادة السياسية لإسرائيل إنما هو مفهوم عام تتبناه كل القوى السياسية هناك ، ففي السادس من يونيو عام ١٩٦٦ رفض الكنيست

الإسرائيلي بأغلبية (٤٣) صوتاً ضد (٥) أصوات وامتناع (٣٢) عضواً عن التصويت على مشروع قرار ينص على «أن الكنيست يؤمن بالسلام كحل وحيد للنزاع العربي الإسرائيلي وتناشد الحكومة أن تعمل على هدى ذلك». (٨٢)

لقد جاء هذا الرفض للسلام قبل عدوان إسرائيل الذي قامت به على الدول العربية في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ بعام كامل بالضبط . وكان علينا التنبه بالدقة الواجبة لهذا الأمر الذي أقره الكنيست الإسرائيلي كتوجه لسياسات الحكومات الإسرائيلية من رفض مبدأ السلام ويمكن مقارنة ذلك مع استمرار الدول العربية في تبني السلام كخيار إستراتيجي لتحركها .

إن التتبع التاريخي والتحليل السياسي لمواقف إسرائيل الإرهابية وسياستها العدوانية ليطول ولن تكفيه هذه الدراسة فمقدار المذابح الإسرائيلية فقط يحتاج إلى المزيد من الكتابات والوثائق تحوي العديد من الممارسات الإسرائيلية التي تذكرنا بطابعها العدواني المستمر : فمذبحة « شرفات » القرية الأردنية في فبراير عام ١٩٥١ وقتل عشرة أشخاص معظمهم من الأطفال والنساء ، ومذبحة «بيت جالا» ومذبحة قبية التي استهل بها أريئيل شارون عملياته الإرهابية عام ١٩٥٣ وقتل ٦٩ عربياً نصفهم من النساء والأطفال ، ومذبحة غزة الأولى ومذبحة طبرية ، ومذبحة غرندل، ومذبحة جوسان ، ومذبحة قلقيلية ، ومذبحة كفر قاسم . وتستمر مسيرة المذابح والعنف الإسرائيلي إلى «صبرا وشاتيلا» و «قانا» التي راح ضحيتها أكثر من مائة وخمسة من اللبنانيين معظمهم من الأطفال والنساء في مارس ,١٩٩٦. إن مسيرة العنف والإرهاب الإسرائيلي ليندى لها جبين الشرفاء خجلاً .. ونظراً لهذا الكم الهائل من المذابح والعنف الإسرائيلي فسوف نركز على بعضها وخاصة ما يرتبط بأريئيل شارون رئيس وزراء إسرائيل الحالي .

شـــارون والإرهـــاب

اعتادت الأدبيات الإسرائيلية أن تصف بعض الشخصيات الإسرائيلية الصهيونية بصفات معينة وخاصة تلك التي ارتبطت بمواقف محددة خاصة بالمذابح والعنف الإسرائيلي الذي مارسته تلك الشخصيات ضد الفلسطينيين والعرب بصفة عامة ، فهم من وجهة نظرهم «جوييم » أو « اغيار» لا يستحقون أي شفقة أو تعاطف .

وتتوالى سلسلة الإرهاب الصهيوني ولا تستطيع أن تميز فيها إرهابي عن آخر ، ولكن «أريئيل صموئيل شارون» إرهابي من طراز متميز ومتفرد فهو يتلذذ بأفعاله التي يقوم بها والذي لا يعرفه الكثيرون عنه أنه يقوم بتسجيلها لأنه يعلم جيداً أن جرائمه التي يرتكبها سوف تكون شهادات فخار له بالمفهوم الصهيوني فهو يرى أن كل إرهابي أصبح له ضريح يزار ، وتحيطه علامات الجلال والفخار ، ألم يصبح «جولد شتاين» الإرهابي قاتل المصلين في الحرم الخليلي بطلاً . ! ولذا وجب علينا التعريف بشارون والمضي معه في سيرته الطويلة للعنف والإرهاب والتي بدأها من بداية الأربعينيات .

فشارون واحد من جيل الصبرا، [٨٣] ولد في فلسطين عام ١٩٢٨ ، وانضم إلى الهاجاناه عام ١٩٤٤ . واشترك في العديد من العمليات الإرهابية التي أتمتها هذه المنظمة العسكرية واشترك في حرب عام ١٩٤٨ . وفي أغسطس عام ١٩٥٣ أنشأ الوحدة (١٠١)أو ما يعرف بجيش ديان الخاص ، وتولى قيادتها وكانت تتكون من أربعين فرداً مهمتها القيام بأعمال انتقامية لمواجهة زيادة النشاط الفدائي وخاصة على الجبهة المصرية .

كانت باكورة عمليات الوحدة (١٠١) الإرهابية بقيادة شارون في وادي اللطرون بالأردن بالهجوم المباغت على قرية « قبية» في الرابع عشر من أكتوبر عام ١٩٥٣ . وقد قام شارون وأفراد وحدته بقتل ٦٩ عربياً نصفهم من النساء والأطفال ، وتدمير ٤١ منزلاً ولم تسلم الماشية من أذاهم فقتلوا عشرين رأساً من الماشية . وتباهى شارون بفعلته وصورها على أنها انتقام لمقتل امرأة يهودية، على الرغم مما تبين من

التحقيقات عن عدم مسئولية الفلسطينيين أو الأردنيين عن ذلك .

وتوالت أعمال هذه المجموعة بقيادة شارون حيث هاجمت الحدود السورية على بحيرة طبرية وقامت بنسف بعض المنشآت هناك أسفرت عن استشهاد وجرح العديد من السوريين عام ١٩٥٤ وهاجم شارون قطاع غزة وارتكب العديد من المذابح ضد العرب في «الغرندل» في الثالث عشر من سبتمبر عام ١٩٥٦ حيث قتل ١٢ عربياً . وفي قلقيلية في العاشر من من أكتوبر عام ١٩٥٦ وقتل فيها (٢٥) عربياً وجرح (١٣) آخرين .

واشترك في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، وفي حرب عام ١٩٦٧ عمل كقائد لمجموعة العمليات التي استولت على ممر متلا . وقد عُين قائداً للمنطقة الجنوبية والتي تشتمل على الجبهة المصرية وقام بطرد العديد من بدو رفح من ديارهم بحجة الأمن .

وكان شارون قد أتم في عام ١٩٦٣ دراسة العلوم الشرقية والتاريخ في الجامعة العبرية بالقدس ، والتحق عام ١٩٦٤ بجامعة تل أبيب لدراسة القانون . وقد أحيل إلى الاحتياط بعد حرب ١٩٦٧ ثم استدعي من الاحتياط في حرب ١٩٧٣ وقاد أحد مجموعات العمليات الإسرائيلية العاملة على الجبهة المصرية نظراً لخبرته في العمل في هذه الجبهة خلال حربي عام ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . ورغم طلب الجنرال «جونين» قائد القوات الإسرائيلية العاملة في سيناء تهدئة الأوضاع إلا أن «شارون» قام بعملية «الدفرسوار» من تلقاء نفسه وبدون تعليمات من قيادته ، وقد أدت هذه العملية إلى احتلال القوات الإسرائيلية أجزاءً من الضفة الغربية للقناة والتي عُرفت باسم «الثغرة» ولأن هذا العمل هو الانتصار الأكبر الذي تحقق في تلك الحرب ، فقد نال شارون شعبية كبيرة في إسرائيل وقام الإعلام الإسرائيلي بتركيز الأضواء عليه لأن الإسرائيليين كانوا في حالة ماسة إلى ذلك بعد الانتصارات المتوالية التي حققها المصريون والسوريون والخسائر الفادحة التي مني بها الجيش الإسرائيلي والهزة التي أصابته .

وأراد شارون استغلال شعبيته في الوسط الإسرائيلي فأراد ترشيح نفسه عن انتخابات الكنيست الثامنة التي تمت في ديسمبر عام ١٩٧٣ ، ولكنه لم يُسمح له بذلك، ولكنه التحق بكتلة الليكود وأصبح من أبرز الزعماء فيها . عينه «اسحق رابين» رئيس الحكومة العمالية في عام ١٩٧٤ مستشاراً له ، ولكنه سرعان ما استقال من ذلك المنصب وانشق عن الليكود وشكل قبيل انتخابات الكنيست التاسعة حركة «شلومتسيون» والتي عُدت على التيار اليميني المتطرف، فازت الحركة بمقعدين في انتخابات عام ١٩٧٧ . وانضمت الحركة إلى اليمين الصهيوني بزعامة «مناحم بيجين» والذي قام بتشكيل الحكومة الإسرائيلية الثامنة عشر في الحادي والعشرين من يونيو عام ١٩٧٧ ، وضم إليها أريئيل شارون كوزير للزراعة . ثم تعيينه وزيراً للدفاع وكان مسئولاً عن مذابح صبرا وشاتيلا واضطر للاستقالة بعد نشر تقرير «كاهانا» رئيس المحكمة العليا الإسرائيلية ، والذي أوضح مسئوليته عن تلك المذابح ضمنياً ، وهو ما سوف نعرض له عند التعرض لمذابح صابرا وشاتيلاً ، وتم تنحية شارون عن وزارة الدفاع ولكنه استمر في الوزارة كوزير بلا وزارة ، رغم إدانته ومسئوليته عن المذابح التي تمت في بيروت الغربية إبان غزو إسرائيل للبنان ، واعاد اسحق شامير زعيم الليكود والذي تولى رئاسة الحكومة اختيار شارون وزير دولة في الحكومة العشرين لإسرائيل وليستمر شارون واحداً من أبرز زعماء الليكود ويزايد على التطرف في أوساط الحزب ولينجح أخيراً في تولي زعامة الليكود وليصبح رئيساً لوزراء إسرائيل.[٨٤]

صبرا وشاتيلا في إطار الإرهاب الصهيوني:

قد يظن البعض أن الدراسة قد أغفلت التتابع التاريخي للمذابح الإسرائيلية وأعمال العنف والإرهاب التي ارتكبتها عناصر الدولة العبرية وقواتها المسلحة ولكن ، كما أسلفنا أن الحديث التتابعي عن المذابح الإسرائيلية ليطول ويحتاج إلى العديد من المؤلفات لأن مضمونه طويل مهما حاولت إسرائيل وقيادتها إخفاؤه.

إن الغزو الثاني للبنان الذي قامت به إسرائيل في صيف عام ١٩٨٢ لم يكن هدفه فقط هو الاحتفال بمرور خمسة عشرة عاماً على يونيو عام ١٩٦٧ ، وذلك بالقيام بهذه الخطوة الكبيرة التي استهدفت استغلال الأوضاع اللبنانية والحرب الدائرة على الثرى اللبناني بين عناصر هذا البلد والانحياز لبعض طوائفه ، تأكيداً لنوازع الفتنة والطائفية ولكن الهدف الرئيسي كان هو القضاء المبرم على الفلسطينيين وقياداتهم وبالتالي ضياع القضية وتشتت السبل بمن يتحمل مسئوليتها بعد ذلك . وكما أبرز أحد الإسرائيليين أنفسهم، وهو «زئيف شيف» المحرر العسكري لجريدة هآرتس الإسرائيلية في الثمانينيات ، والقريب من القيادات السياسية والأمنية؛ من أن هذه الخطة قد تم دراستها مع القيادة الأمريكية وأن وسائل الإعلام هناك قد تعرضت لها بالتفصيل وأوضحت دقائق الغزو الإسرائيلي للبنان قبل الغزو بشهرين أي في شهر إبريل عام ١٩٨٢ ، وبالتحديد في يوم الثامن منه عندما أذاعت محطات التليفزيون الأمريكي تقريراً كاملاً ومفصلاً عن الغزو ومراحله وأهدافه. [٨٥]

إن الحرب الإسرائيلية غير المبررة على التراب اللبناني استهدفت ضرب الكيان اللبناني والفلسطيني في مقتل وتعميق الفرقة والطائفية والعنصرية بين عناصر الشعب اللبناني بعضها البعض وبينها وبين الفلسطينيين .

لقد ظن شارون ومعه أركان قيادته الجنرال «رفائيل ايتان» رئيس الأركان الإسرائيلي آنذاك ، والميجور جنرال اميردوري قائد الجبهة الشمالية والميجور جنرال «يهوشع ساجي» رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية.. وغيرهم أن حربهم

في لبنان لن تطول وأنها سوف تنقضي في أيام معدودات .. صحيح أنهم حققوا الكثير من الانتصارات وتمكنوا من احتلال جزء كبير في لبنان ووصلوا إلى عاصمتها واحتلوا قسماً كبيراً منها (بيروت الشرقية) بالتنسيق والتعاون مع بعض القوات اللبنانية وخاصة الكتائبية وجيش سعد حداد الذي تم تشكيله في الجنوب اللبناني ، وغيرها من القوات المتعاونة مع إسرائيل ، إلا أن القيادة الإسرائيلية فوجئت ، بمقاومة شديدة من جانب القوى اللبنانية الصامدة ومعهم الفلسطينيون وقوات منظمة التحرير الفلسطينية ولم تتمكن القوات الإسرائيلية من دخول بيروت الغربية والتي حاصرتها من البر بينما البحرية الإسرائيلية تحاصرها من البحر .

وفي إطار تقدمها شمالاً صوب بيروت ارتكبت القوات الاسرائيلية والمتعاونة معها العديد من المذابح والفظائع في سبيل تحقيق غايتها وهي القضاء على المقاومة الفلسطينية واللبنانية وإرهاب الفلسطينيين في لبنان وإرغامهم على مغادرتها . لقد اقتحمت المخيمات الفلسطينية في صور ومخيم الرشيدية في صيدا وعين الحلوة والمية مية وارتكبت مذابح ومجازر يندى لها الجبين ، ولكنها جاءت في إطار التعتيم الإعلامي المتعمد.. ولكن الوضع اختلف مع الدور الإسرائيلي الفاضح في مذابح صبرا وشاتيلا وذلك لأن هذه المذابح حدثت في بيروت العاصمة اللبنانية وما تتميز به كمدينة متحضرة في شرق المتوسط.

ولن نسترسل في ظروف التفاوض الفلسطيني الأمريكي في إطار تأمين خروج القوات الفلسطينية من بيروت وهي المفاوضات التي تمت بين القيادة الفلسطينية وبين الولايات المتحدة الأمريكية ممثلة في السفير فيليب حبيب مبعوث رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق الحكومة اللبنانية حيث لم تكن الحكومة الأمريكية قد اعترفت بعد بمنظمة التحرير الفلسطينية ، والتي على أساسها توصل الطرفان الفلسطيني والأمريكي إلى اتفاق برعاية لبنانية في ١٨ أغسطس عام ١٩٨٢ يؤمن مغادرة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ومكاتبها والمقاتلين لبيروت. وتضمن الاتفاق ٢٢ بنداً كان أهمها ما يتعلق بسلامة الفلسطينيين من غير المقاتلين الذين يبقون في بيروت وكان هناك تعهد لبناني أمريكي على سلامتهم سواء من العناصر

المسلحة اللبنانية مثل عناصر الكتائب وقوات سعد حداد أو من القوات الإسرائيلية والمتعاونة معها .

كما أن هناك اتفاقاً تضمنه البند السادس بتشكيل قوات متعددة الجنسيات من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإيطاليا لمساعدة الجيش اللبناني لتوفير الضمانات الأمنية في منطقة بيروت لكل السكان والمتواجدين فيها . كما أن مراقبي الأمم المتحدة سوف يقومون بمراقبة وقف إطلاق النيران لتنفيذه ولمنع القوات الإسرائيلية من اقتحام بيروت الغربية والتعدي على الفلسطينيين فيها .

ولكن الاتفاق الذي تم بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة سفيرها فيليب حبيب نظر إليه الفلسطينيون على أنه تأكيد سلامة قيادات وقوات المنظمة المغادرة وفي نفس الوقت تأكيد سلامة جميع الفلسطينيين الذين سيبقون في لبنان من غير المقاتلين مع عائلات المغادرين من المقاتلين الفلسطينيين .

أما إسرائيل وبالأخص وزير دفاعها شارون فقد تطلع إلى الوقت الذي تنسحب فيه القوات المتعددة الجنسيات (الأمريكية والإيطالية والفرنسية) في أسرع وقت لأن دورها حسب المفهوم الإسرائيلي يتعلق فقط بتأمين مغادرة منظمة التحرير وقيادتها وقواتها من بيروت ، ولأن بقاء هذه القوات متعددة الجنسيات ، من وجهة النظر الإسرائيلية سوف توفر الحماية ، لما تدعيه إسرائيل ، للمقاتلين الفلسطينيين الذين سيبقون في بيروت على حد زعمهم ، على أن يحل الجيش اللبناني خلال شهر محل القوات متعددة الجنسيات والجيش اللبناني سوف يكون حليفاً للإسرائيليين ، من وجهة نظر الإسرائيليين ، لأنه سيكون مؤتمراً بأوامر رئيس الجمهورية اللبنانية المنتخب بشير الجميل حليف إسرائيل بعد تنصيبه رسمياً .

وأن شارون قد ناقش احتمال دخول عناصر ميليشيا حزب الكتائب إلى بيروت الغربية مع «فيليب حبيب» مبعوث الرئيس الأمريكي الذي وافق، حسب الرواية الإسرائيلية، على ذلك شرط أن تكون ميليشيات الكتائب المسيحية جزء من الجيش اللبناني .

وفي الثالث والعشرين من أغسطس دخلت قوات من الجيش اللبناني إلى مخيم برج البراجنة بينما قامت القوات الإسرائيلية وبتعليمات مباشرة من وزير الدفاع أريئيل شارون بمحاصرة المخيم من جميع الجهات ، وكانت تعليمات «بشير الجميل» الرئيس المنتخب اللبناني واضحة لقوات الجيش التي قامت بعمليات اعتقال جماعية ومطاردة للعديد من الفلسطينيين وخاصة الرجال والشباب الذين هربوا إلى المخيمات القريبة (صبرا وشاتيلا والفاكهاني) ، واعتقلت القوات اللبنانية حسب الرواية الإسرائيلية وهي الوحيدة التي أفرزتها الأحداث في حينه-٢٣٠ فلسطينياً وآخرين من جنسيات مختلفة.

وبدأت منذ هذه اللحظة عملية «همح هبرزل - الدفاع الحديدي». [٨٦] وهو الاسم الذي أطلقته إسرائيل على اقتحام بيروت الغربية ، وإن كانت عملية برج البراجنة تعد في إطار جس النبض والتحضير لا غير.

وفي إطار الإسراع بتنفيذ الخطة الإسرائيلية ركز شارون ورئيس أركانه آنذاك الجنرال رفائيل إيتان على سحب القوات المتعددة الجنسيات من بيروت الغربية بحجة أنها قد أدت مهمتها بالإشراف على خروج منظمة التحرير وقواتها من بيروت الغربية، وقد أيدتها الولايات المتحدة الأمريكية، وبالفعل خرجت القوات المتعددة الجنسيات من بيروت على عجل وكان ذلك الأمر محل إستنكار فلسطيني أثاره الرئيس ياسر عرفات في لقائه مع وزير خارجية إيطاليا في اجتماعهما في روما في الرابع عشر من سبتمبر عام ١٩٨٢ حيث كانت إيطاليا إحدى الدول الثلاث المشكل منها هذه القوة المتعددة الجنسيات وهي الولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا وفرنسا .

وقد استكملت القيادة الإسرائيلية سيطرتها على بيروت، وفي إطار استكمال هذه السيطرة والتحلل من أي اتفاق مع الجانب الأمريكي بشأن بيروت الغربية وثقت القيادات الإسرائيلية من علاقاتها بالأطراف اللبنانية التي تشعر أن من صالحها دخول بيروت الغربية وخاصة ميليشيات الكتائب المسيحية التي رأت إسرائيل أن تغذي فيها البُعد الطائفي خدمة لمصالحها . وكما أورد الكتاب الإسرائيليون أنفسهم ذلك ووصفوا شعور رجال الكتائب -حسب ادعائهم - وتعطشهم لاقتحام المخيمات

الفلسطينية في بيروت الغربية. ودعوة هذا الضابط الكتائبي «جسي سُكر» والذي كان معيناً كضابط اتصال مع القوات الإسرائيلية ، لأحد الكتاب الإسرائيليين لم يذكر اسمه لمرافقته عند دخول بيروت الغربية والإطلاع على أفعال الكتائبيين مع الفلسطينيين .

والاستطراد في ذكر رموز الكتائب ومنهم (الياس) (ايلي)حُبيقة. (٨٧)، والذي كان يعمل كقائد لمخابرات ميليشيا الكتائب ، والذي تصفه المصادر الإسرائيلية بأنه عميل مهم شارك في الكثير من المهام التي كلفه بها القادة الإسرائيليون ، وخاصة في الجنوب اللبناني وتوفير المعلومات والمشاركة في مذابح صيدا وصور والمية ميه .

ولكن كان على رأس المهام التي قام بها شارون هو تأكيد الارتباط الإسرائيلي بفئات معينة في لبنان وزرع الحقد في نفوسها خدمة للأهداف الإسرائيلية التي يمكنها استغلال ذلك في نفي أي ارتباط بأعمال المجازر التي ارتكبها وسوف يرتكبها الإسرائيليون ، وتصوير ذلك في إطار تصفية الحسابات بين القوى المتصارعة على الساحة اللبنانية . ولذلك فإن الانفجار الذي أدى إلى اغتيال الرئيس اللبناني المنتخب «بشير الجميل» لا يستطيع منصف ومتابع للأحداث أن يبعد شبهة التدبير الإسرائيلي فيها أياً كانت الأسباب والدوافع المعلنة غير ذلك . لأن المتتبع للأمور سوف لا يخفي عليه مدى الحقد الذي بثه شارون ورجاله في رجالات ميليشيا الكتائب للانتقام لمصرع رئيسهم «الجميل» وتحميل الفلسطينيين والقوى اللبنانية الأخرى مسئولية مصرعه . ولقد صور الإسرائيليون لهم أنه بفقد «بشير الجميل» فقد فقدت إسرائيل حليفها الداعم والرئيسي في لبنان والذي كان متفهما لدوافع الإسرائيليين في ضرورة استكمال السيطرة على بيروت الغربية وتفتيش المخيمات الفلسطينية بحثاً عمن أسموهم بالمخربين الفلسطينيين الذين بقوا في بيروت ولا يقل عددهم حسب التقدير الإسرائيلي عن ٢٠٠٠- ٣٠٠٠ مقاتل فلسطيني. (٨٨)

ويتباكى شارون في اجتماعه بقادة الكتائب الذي تم في صباح اليوم التالي في الكرنتينا واجتماعه مع فادي افرام والياس حُبيقة وزاهي البستاني وآخرين ، وأخذ يحرضهم على المسلمين خوفاً من التأثير على الرئيس اللبناني «الياس سركيس»

وتغيير التقاليد اللبنانية وتولية رئيس مسلم ولذا فعليهم الإسراع بجعل سركيس يعين نائباً له من الكتائب لأنهم إن لم يفعلوا ذلك فلربما طرحت الولايات المتحدة الأمريكية الرئيس اللبناني السابق « كميل شمعون» والذي هو عدو الكتائب التقليدي.

وتوضح المصادر الإسرائيلية أن شارون في نفس هذه الجلسة التي أظهر فيها تعاطفه مع الكتائبيين وكأنه أحرص عليهم من أنفسهم - طرح عليهم خطته السريعة لما اعتبره الانتقام لمصرع « بشير الجميل » وذلك بالمسارعة بدخول بيروت الغربية والتي سوف يحكم الجيش الإسرائيلي قبضته عليها ، وليكن دور الكتائب سيأتي تالياً لذلك وحسب ما قال بالحرف طبقاً للرواية الإسرائيلية : « سوف نستولي - أي جيش الدفاع الإسرائيلي - على المواقع الرئيسية ولكن قواتكم يجب أن تدخل أيضاً ربما بعد دخولنا ». [٨٩] ورغم محاولة الكتائبين تبرئة الجيش الإسرائيلي وقادته وعلى رأسهم شارون وايتان وساجي ودوري من المسئولية عما حدث في صبرا وشاتيلا إلا أن المتفحص سوف يلحظ أن ذلك غير مستطاع فالعبارة السابقة تدل بوضوح تام أن الذي سوف يدخل إلى بيروت الغربية ويسيطر على المخيمات هم أفراد الجيش الإسرائيلي وأن الكتائبيين سوف يأتون بعدهم .

وفي نفس الجلسة أوضح شارون لرجالات الكتائب أن عليهم بمساعدة جيش الدفاع للقضاء قضاءاً تاماً على ما بقي من آثار لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت الغربية وانه يريد - نصا حرفياً - « لا أريد أن يبقي أحد منهم » . . وهو بالقطع يعني أنه لا يريد أن يبقى فلسطيني على قيد الحياة .

وفي نفس الوقت مارست الولايات المتحدة بواسطة مبعوثها «موريس درايبر» ضغوطاً على الحكومة والجيش اللبناني الرسمي لعدم التدخل ، حيث أوضح «درايبر» لشفيق الوزان رئيس الوزراء اللبناني أنه من صالح لبنان عدم التدخل؛ وأن تحركات الجيش الإسرائيلي في بيروت الغربية إنما للسيطرة على المداخل والمخارج ولم يذكر شيئاً عن تعاون الكتائب مع الجيش الإسرائيلي ، حيث أنه طبقاً للرواية الإسرائيلية لم يكن يعلم بذلك فعلاً . ولكن نفس الرواية تعود فتذكر أنه في تمام الساعة الخامسة من مساء الخميس ١٩ سبتمبر عام١٩٨٢ كان «موريس درايبر» و «سام لويس» السفير

الأمريكي والملحق العسكرى الأمريكي في تل أبيب في اجتماع مع «شارون» في مكتبه ومعه ميجور جنرال «يهوشع ساجي»، ومدير مكتب وزير الدفاع ومساعده للشئون الأمنية ، وعلم درايبر ولويس بتفاصيل العملية في وقتها، وأن رجال الكتائب سوف يكونون ضمن القوة المهاجمة لمخيمي صبرا وشاتيلا وأن البداية سوف تكون من معسكر شاتيلا . وهذا ما يثبت أن الولايات المتحدة كانت واقفة على كل خطوة من خطوات الغزو الإسرائيلي لبيروت الغربية واقتحام المخيمات الفلسطينية والمذابح التي جرت فيها. (٩٠) وهو ما ينفي الادعاء الأمريكي بعدم علمها بالأحداث إلا متأخراً . وأيضاً فإنه في نفس الوقت ودراسة للموقف تم ذكر أن عدد المقاتلين الجاهزين من الكتائب هو مائة وخمسون مقاتلاً فقط بقيادة «ايلي حبيقة» وهذا العدد يثبت أن القوات التي شاركت في غزو المخيمات كانت تضم قوات من جيش الدفاع الإسرائيلي لأن الذين هاجموا المخيمين كانوا يزيدون عن الألفين. (٩١)، مع ملاحظة أن القوات الإسرائيلية كانت تحكم قبضتها بالفعل على مداخل ومخارج المخيمات الفلسطينية صبرا وشاتيلا والفاكهاني ، وإن ركائز النيران والكشافات الضوئية ومدافع الهاون المنصوبة لاستخدامها في المعركة وأيضاً في إضاءة أرض المخيمات ، كلها من جيش الدفاع الإسرائيلي .

وقبل أن تغيب شمس الخميس السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٨٢ بدأت على يد القوات المهاجمة أحداث المذبحة التي يندى لها الجبين ، وبعد ساعة من الأحداث طلب المنفذون من القوات الإسرائيلية المنوط بها المساندة النيرانية إضاءة أرض المخيمات ، وبعد قليل وحسب الرواية الإسرائيلية اتصل أحد الضباط من الكتائب برئيسه «ايلي حُبيقة» ليسأله عما يفعل بخمسين امرأة وطفل الذين اعتقلهم ؟ وفي نبرة حادة يرد حُبيقة - حسب الرواية الإسرائيلية (أنت تعرف ماذا تفعل) ومحادثة أخرى مع «جسي سكر» ضابط الاتصال الكتائبي حيث سأله ضابط آخر ماذا يفعل بالخمسة وأربعين رجلاً الذين اعتقهلم داخل المخيم ، ويرد عليه سكر -حسب الرواية الإسرائيلية ايضاً (افعل ما يريده الله). (٩٢) وتتوالى التسجيلات التي أبرزها الجيش الإسرائيلي للعديد من الاتصالات باللغة العربية لبعض الكتائبيين ، وفي اعتقادنا أن

هذا الأمر كان مدبراً ، وأن الكتائبيين استُدرجوا إليه حتى يبدو الأمر حسب الرواية الإسرائيلية أنها عملية تصفية حسابات تمت على الساحة بين الفرقاء اللبنانيين والفلسطينيين . وبالقطع فإن ميليشيات الكتائب لم تكن تدرك ذلك ، وهذا هو المفترض .

ولأن حجم الخسائر مع طبيعة المعركة يفوق القدرة التنظيمية والقتالية للمائة وخمسين عنصر الذين شاركوا من الكتائب في أحداث المخيمات أو حتى المساعدات التي أرسلها أمين الجميل حسب الرواية الإسرائيلية في اليوم التالي ، فإن هذا الأمر يثبت بما لا يدع مجالاً للشك التدخل الرسمي للقوات الإسرائيلية وبترتيب مسبق من «شارون» و «دوري» في المعركة الدائرة وإن هؤلاء الإسرائيليين كانوا يرتدون زي الكتائب ، حتى يَدخل في روع الجميع أن الكتائبيين مسئولون عن هذه المذابح. وتعترف الرواية الرسمية الإسرائيلية أن هناك في بناية ملاصقة للمخيمين أقيمت نقطة مراقبة كانت تقوم بمتابعة الأحداث في المخيمات وأن وزير الدفاع «شارون» ورئيس أركانه «إيتان» ، وميجور جنرال «أمير دوري» وقائد منطقة بيروت «آموس يارون» كانوا يديرون العمليات منها .

وبدا أن القيادة الإسرائيلية كان يهمها إسباغ التعتيم الإعلامي على الأحداث حتى تمضي في طريقها المرسوم وهو إدخال الفزع المطلوب في قلوب الفلسطينيين الباقين في بيروت وحثهم على الفرار. علاوة على إحداث أكبر قدر من الخسائر في صفوفهم وخاصة الشباب وحتى النساء والأطفال الذين لم يسلموا من أذاهم ؛ لأن النساء يلدن الأطفال الذين يكبرون ويصبحون إرهابيين حسب المقولة الإسرائيلية.![٩٣] ولكن أخبار المذابح بدأت تنتشر وأخذت وسائل الإعلام تسجل الأحداث وتنشر صور القتلى وتسجل الروايات المختلفة للأحداث من شهود عيان حضروها وعاصروها دقيقة بدقيقة، ولذلك فإن «آموس يارون» هاله أن يرى مجموعة من الأطباء والممرضات الأجانب الذين كانوا في مستشفى غزة داخل المخيم يقودهم مجموعة من القوات الغازية للمخيمات وخشي من عواقب ذلك حيث أمر بسرعة الإفراج عنهم، وقد اطلع هؤلاء الأطباء والممرضات والذين كان معظمهم من الألمان

على الفظائع التي ارتكبتها القوات المقتحمة للمخيمين ورأوا القوات الإسرائيلية والعميلة تقوم بإزاحة جثث القتلى ووضعها فوق شاحنات وكأنها بعض من الركام والتراب المطلوب تحميله . وما شغل الجنرال «شارون» هو أن هؤلاء الأجانب من الممكن أن يُحدثوا نوع من التغيير الحاد في صورة إسرائيل لو شهدوا على الأحداث الدامية التي عاصروها بأنفسهم، ولأن الأمريكيين لم يكونوا يتوقعون هذا الحجم الهائل من الخسائر حيث أرسل « درايبر» المبعوث الأمريكي «لشارون» رسالة عاجلة ذكرتها المصادر الإسرائيلية ، وأيضاً جاء ذكرها في تقرير «كاهان»: « يجب أن توقف عمليات الذبح إنها مرعبة، وقد أحصى المندوبون الأمريكيون مئات الجثث في المخيمات ، يجب أن تخجلوا من أنفسكم ، ومن أفعالكم ، إن القوات المغيرة تقتل النساء والأطفال بلا رحمة أو شفقة ، وإني أحملكم المسئولية الكاملة عن الأحداث حيث أنكم تسيطرون على الأحداث سيطرة كاملة». [٩٤]

وبالقطع فإن شهادة «درايبر» هذه التي أوردتها شهادات تقرير «كهان »، وهي شهادة أمريكية هامة والولايات المتحدة ليست بمنأى عن المسئولية عن هذه المذبحة التي تعهدت بموجب الاتفاقات التي تمت مع منظمة التحرير الفلسطينية بتوفير الحماية للمخيمات في بيروت الغربية عن طريق القوة المتعددة الجنسيات التي أصرت إسرائيل على إنهاء أعمالها بأسرع ما يمكن ووافقتها الولايات المتحدة الأمريكية على ذلك . ومن الاستعراض الذي أوردناه يتضح جلياً أن الحكومة الأمريكية كانت على علم كامل بكل الخطوات التي سبقت هذه المذبحة وأنها أعطت القيادة الإسرائيلية الضوء الأخضر لدخول بيروت الغربية وبالتالي ما حدث من جراء ذلك ممثلة في هذه المذابح التي خلفت أكثر من ألفين من القتلى وبعض التقديرات تحصيهم بأربعة آلاف ، والآلاف الأخرى من الجرحى . ولم تقتصر على الفلسطينيين وحدهم وإنما أبيدت أسر لبنانية كاملة . إننا أمام مأساة كاملة ومذبحة تمت أمام أعين المجتمع الدولي كله، وبإيعاز كامل من الدولة الأكبر في العالم الولايات المتحدة الأمريكية وبأسلحتها وذخيرتها ، وبواسطة القوات الإسرائيلية والقوات اللبنانية المتحالفة معها .

لقد كان لهذه المذبحة البشعة آثارٌ عميقة على الشعب الإسرائيلي أو لنقل جزء منه، وكما يذكر تقرير كاهان لقد رأى الآلاف من الإسرائيليين صور الأطفال المذبوحين وأكوام الجثث المغطاة بالدماء ، وتأكدت مخاوفهم الداخلية ، فالحرب لم تجر إلى دولتهم إلا الخزي والعار الذي لطخ شرف بلادهم إلى الأبد.!

ولكن ماذا كان رد الفعل الرسمي الإسرائيلي ، لقد اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي يوم الأحد التاسع عشر من سبتمبر ليستمع إلى قصة المذبحة التي ارتكبها «شارون» و « إيتان» و «دوري» و «يارون» و «ساجي» ، وعرفوا الحقيقية كاملة ودور كل واحد من هؤلاء القادة والمسئولين ؛ والتنسيق التام مع العناصر التي عاونت الجيش الإسرائيلي من قوات الكتائب التي حاول شارون وايتان أن يلصقا بها الحدث ويحملاها مسئولية المذبحة . وفي محاولة ساذجة أصدر مجلس الوزراء الإسرائيلي بياناً لتبرئة نفسه ، يلقي فيه اللوم على وحدة لبنانية دخلت مخيم اللاجئين من مكان يبعد كثيرا عن موقع الجيش الإسرائيلي . ويعلق بيجين أثناء الاجتماع على الأحداث بمقولته الشهيرة التي صارت مثلاً للعنصرية والحقد الإسرائيلي ، «جوييم يقتلون جوييم ويتهمون يهود» أي « أغيار أو غير يهود يقتلون غير يهود» ويتهمون يهود . وهو بهذا يذهب إلى القسمة العنصرية التي تنظر بها الصهيونية إلى العالم من خلال مفهوم إما يهود أو غير يهود (جوييم) وبيجين هنا يحاول إنهاء النقاش على طريقته وحسمه في إطار أنها مذابح حدثت بين اللبنانيين بعضهم البعض وليس للقوات الإسرائيلية دخل فيها . وهو الأمر غير الحقيقي ، ولماذا لا يكذب بيجين والبيان الرسمي الذي صدر عن مجلس الوزراء هو بيان يتناقض مع أبسط أمور الواقع وهو السيطرة الكاملة للقوات الإسرائيلية على بيروت الغربية وعلى مداخل ومخارج المخيمات كلها ، وبالتالي فمن السذاجة أن يصدر هذا البيان ، الذي لا يقبله أحد . وهل من المعقول أو المقبول أن تستمر المذابح ثلاثة أيام من عصر الخميس إلى ظهر السبت ، والإسرائيليون المسيطرون على بيروت لا يعلمون شيئاً ؟.

لقد جسد بيجين تلميذ جابوتنسكي مفهوم الحقد في هذه المقولة التي أفصحت عن المدى الذي وصلت إليه عنصرية القيادة الإسرائيلية وعدم المبالاة التي واجهت

بها العالم وكأن شيئاً لم يحدث، أو أنه شئ عادي .

ومما يفضح كذب رئيس الوزراء الإسرائيلي هو اعتراف البريجادير جنرال «عاموس يارون» المشارك في أحداث صبرا وشاتيلا أمام تجمع احتجاجي لمجموعة من الضباط الإسرائيليين من ذوي الرتب الكبيرة حيث علق على الأحداث قائلاً : « كان الأمر هو انعدام الإحساس على كل المستويات ، كانت هناك حالة من التبلد عند الجميع ، وأنا واحد منهم ، لقد كنا جميعاً مخدرين هذا هو الأمر». (٩٥)

وفي بيانه الأول عن المذبحة أمام الكنيست في الثاني والعشرين من سبتمبر أوضح شارون أن الكتائبيين هم الذين دخلوا إلى مخيمي صبرا وشاتيلا بالتنسيق الكامل مع إسرائيل والجيش الإسرائيلي . ورغم أن هذه هي نصف الحقيقة فإنها تجسد التخبط الذي ساد الأوساط الرسمية الإسرائيلية فبيان مجلس الوزراء يوم الأحد ينفي نهائياً معرفة الجيش الإسرائيلي بنية أفراد ميليشيا الكتائب ، وبيان شارون يوم الأربعاء أي بعد ثلاثة أيام أمام الكنيست أوضح التنسيق التام مع هذه القوات الكتائبية .

ونتيجة لهذا التخبط والتعتيم على الأمر ، أمرت الحكومة الإسرائيلية بتشكيل لجنة تحقيق غير قضائية يوم الجمعة الرابع والعشرين من سبتمبر وانتدبت رئيس المحكمة العليا «اسحق كاهان» لرئاستها، فاعتذر لأن صلاحياتها محدودة . وقامت في تل أبيب مظاهرة ضخمة اشترك فيها من ٤٠٠ر٠٠٠-٥٠٠ر٠٠٠ إسرائيلي مطالبة باستقالة كل من «بيجين» و «شارون» والتحقيق مع كل من شارك في المذبحة. (٩٦) فاضطر بيجن إلى تعيين لجنة قضائية برئاسة رئيس المحكمة العليا ومعه أحد قضاتها «آهرون باراك» ، وأحد العسكريين المتقاعدين هو الميجور جنرال «يوناه أفرات». (٩٧)

واعتبر أنصار حزب الليكود أن مجرد تعيين لجنة هو إقرار بالذنب . ويبدو أن إسرائيل أرادت استغلال الحدث لصالحها لتبرز كيف رضخت القيادة السياسية للرأي العام وعينت لجنة تحقيق قضائية ارتباطاً بذلك . ولكن الحقيقة أن الحكومة الإسرائيلية أرادت إمتصاص الغضب العالمي من خلال هذا الإجراء ، في نفس الوقت فإنها وفي إطار محاولتها البحث عن الحقيقة من خلال هذه اللجنة القضائية رفيعة

المستوى ، سوف تبرز للعالم - وهذا ما كان بالفعل - أن الأفعال الإجرامية التي تمت في بيروت في مخيمي صبرا وشاتيلا كانت بين فرقاء لبنانيين وأن دور القيادة الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي كان دوراً مساعداً ولم يكن فاعلاً ! وذلك من خلال الصياغة الإسرائيلية لرواية صبرا وشاتيلا التي تفرغ القضية من مضمونها الحقيقي والخاص بالمسئولية المادية والواقعية عن الأحداث والمذابح ، وحصرها في المسئولية الخلقية من خلال السيطرة الإسرائيلية على مواقع الأحداث ووضعت اللجنة فعلاً فرضية مؤداها أن هذا التحقيق يبحث في دوافع وأسباب ارتكاب جماعة لبنانية (الكتائب) لمذابح وصلة إسرائيل بذلك .

وهكذا فقد وضعت اللجنة تصوراً إستنتاجياً ، وجهدت لإثباته ولأنها لجنة قضائية فإن منطقها التسويقي ظل يدور حول المفاهيم وإحاطتها بهالات ، وأنها تؤدي عملها في إطار من الحيادية والمصداقية ، وكأنها تناست أو نسيت أن الأحداث كانت تُتابع من العالم أجمع وإن وسائل الإعلام قد تناقلت الأحداث ، وأن صانعي الأحداث أنفسهم لم يمكنهم أن يخفوها وسقطت منهم سقطات فضحت أفعالهم .

وقد عقدت اللجنة ٦٠ جلسة واستمعت إلى أقوال العديد من الشهود ضمنتها شهاداتهم (١٢٠٠٠) صفحة فلوسكاب. [٩٨]، وكانت جلساتها علنية ولكن اللجنة حصرت نفسها في فرضية أن بعض من القوات اللبنانية، وهي الكتائب، هي التي أقدمت على هذه المجازر ونسبت إفادات بعض الضباط والقادة الإسرائيليين أنفسهم من أن عدد هذه القوات ، حسب الرواية الإسرائيلية ، لم يتعد مائة وخمسين رجلاً . . كما أن اللجنة حرصت على إبعاد أي مسئولية حكومية أو رئاسية وحصرت الأمر في الموقف الميداني وأن المسئولية الإسرائيلية جاءت في الإطار الأخلاقي فقط . ومع ذلك فإن اللجنة القضائية وصلت إلى استنتاج خطير ، وهو أنه لولا التواجد الإسرائيلي وكثافته في بيروت الغربية لتضاعفت أرقام الضحايا مرات ومرات ، وعلى هذا ، وفي إطار المهمة الأخلاقية لجيش الدفاع الإسرائيلي ، فعلى المجتمع الدولي أن يشكر إسرائيل في أن الأرقام التي حققتها الأعمال الإجرامية في المخيمات الفلسطينية ، وقفت عند الحد الذي وصلت إليه . وكادت اللجنة توصي بمنح القيادة الإسرائيلية

والمسئولين أنواطاً لتحقيق ذلك !

إن المنطق الذي فُرض على اللجنة القضائية أن تقوم بعملها في ظله كان منطق التبرير ولم يكن منطق التحقيق بمفهومه العملي .

وفي إطار التوجيه الذي كان يُغلف أعمال اللجنة سمّت «القوات الكتائبية» بالقوات المسيحية ، وصورت الأمر على أن المذابح كانت ضد «المسلمين» رغم أن الكثير من الذين راحوا ضحية المذابح في المخيمات الفلسطينية كانوا من المسيحيين سواء الفلسطينيين أو اللبنانيين . وبالغ التقرير في التركيز على هذه النقطة وأن إبعاد الفلسطينيين عن لبنان إنما هي فكرة كتائبية وليست إسرائيلية . ورغم أن التقرير حاول صرف الانتباه عن أي دور عملي للقيادة أو القوات الإسرائيلية في الأفعال التي تمت إلا أنه لم يستطع أن ينكر الاتصالات والزيارات التي قامت بها القيادات الإسرائيلية على أعلى المستويات إلى لبنان والاجتماعات التي تمت مع القيادات الكتائبية وهو الأمر الذي أدى بشارون للاعتراف بالدور التنسيقي مع الكتائب .. وهو ما أغفله التقرير وتعامل معه باستخفاف دون تركيز .

وفي النهاية فقد ركزت اللجنة على موضوع المسئولية غير المباشرة لقوات الاحتلال الإسرائيلية في بسط سيطرتها وتوفير الأمن في لبنان ، وأن الأحداث التي أتمتها القوات المسيحية اللبنانية - حسب الادعاء الإسرائيلي - جاءت في غفلة من الجانب الإسرائيلي الذي افترض حُسن النية في حلفائه الكتائبيين وهو ما لم يحدث؛ ومعهم العذر في ذلك بعد أن فقدوا زعيمهم «بشير الجميل» وتحميلهم الفلسطينيين المسئولية .

وفي التاسع من فبراير عام ١٩٨٣ نشرت اللجنة تحقيقاتها ورغم إدانتها لرئيس الأركان «رفائيل إتيان» بالإهمال إلا أنها لم توص بتنحيته نظراً لقرب إنتهاء مدة خدمته.! أما بالنسبة لوزير الدفاع آنذاك شارون فقد جاء في تقرير اللجنة : «أننا لا نستطيع إلا ان نحمل وزير الدفاع المسئولية لفشله في اتخاذ التدابير التي تمنع وقوع أعمال انتقامية ولفشله في ذلك عندما قرر أن تدخل قوات الكتائب إلى المخيمات وأن

المسئولية تقع على وزير الدفاع لعدم اتخاذه الإجراءات المناسبة لتقليص فرص حدوث (المذبحة) كشرط لدخول الكتائب.. لقد وجدنا في لجنة التحقيق أن وزير الدفاع يتحمل مسئولية شخصية . وفي رأينا أنه يليق بوزير الدفاع استخلاص الحلول المناسبة لفشله وإهماله في إدارة مهام وظيفته . وإذا كان من الضروري فعلى رئيس الوزراء أن يفكر جدياً في استعمال السلطة المخولة له بالقانون الذي ينص على أن من حق رئيس الوزراء ، بعد إعلام مجلس الوزراء بنيته أن يقيل أي وزير من منصبه».[٩٩]

ومع ذلك فلم يستقيل شارون ، ولم يُقله بيجين وكل ما حدث أن ترك شارون وزارة الدفاع ، والتي تولاها بيجين علاوة على رئاسته للحكومة ، بينما اصبح شارون وزيرا بلا وزارة في الحكومة . وحتى بعد أن استقال بيجين وتولى «اسحق شامير» الوزارة استمر شارون في وزارة الليكود ، والآن شارون هو رئيس وزراء إسرائيل .

والمدقق سوف يلاحظ تشابهاً كبيراً بين ما حدث في «دير ياسين» عام ١٩٤٨ وبين ما حدث في صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢ . فبيجين كان زعيم الارجون الحليف الرئيسي في الهجوم على دير ياسين بالتعاون مع ليحي وزعيمها اسحق شامير . وبيجين في أحداث صبرا وشاتيلا هو رئيس الوزراء الإسرائيلي أو السلطة السياسية الأعلى في إسرائيل . ونفس الموقف التبريري الذي تبرأت منه الهاجاناه من الأحداث التي تمت في دير ياسين حاولته القيادة الإسرائيلية بإلصاق التهمة بالقوات الكتائبية وقيادتها ولكن المتتبع للأحداث والمواقف لا يستعصي عليه إدراك المسئولية الكاملة للجيش الإسرائيلي وقيادته عن أحداث صبرا وشاتيلا .

إن الموقف الأخلاقي ومظهر الجندي العبري وجيش الدفاع الإسرائيلي هي الأهم في الحالتين دير ياسين وصبرا وشاتيلا دونما اعتبار للضحايا والأبرياء الذين ماتوا وذبحتهم القوات العبرية أو الإسرائيلية .

لقد سوّقت إسرائيل روايتها عن أحداث صبرا وشاتيلا ، ورغم ذلك فإن مسئوليتها عن هذه الأحداث واضحة وضوح الشمس بالفعل والتحريض والتنفيذ والقيادة

والتغطية . ولكن الملاحظ أنه لم تصدر رواية عربية مضادة إلا في الإطار النقدي للأحداث. حتى من اتهمتهم إسرائيل بالمسئولية المباشرة عن المذابح لم يحاولوا الدفاع عن أنفسهم ، إلا اللهّم ما حاوله أخيراً « ايلي حُبيقه» وتلويحه بالأداء برواية أخرى مخالفة للرواية الإسرائيلية ، يفضح فيها الدور الإسرائيلي والقيادات مدعوماً بالأدلة والوثائق ، فهل يفعل.!

انتفاضة الأقصى أو انتفاضة الاستقلال:

لقد تعرضنا في هذه الدراسة إلى الإطار الفكري الذي أرسى مفهوم العنف في الفكر الصهيوني واتخذته القيادات اليهودية نبراساً لها في طريق اغتصابها فلسطين، وعرفنا ببعض قيادات الفكر المتطرف الصهيوني وعلى رأسهم جابوتنسكي وتلاميذه .

ولكن الأهم هو النموذج الذي أفرزته القناعات الصهيونية باتخاذ العنف والإرهاب اسلوباً ووسيلة لتحقيق الأهداف واستلاب الحقوق ، وجاءت مذبحة «دير ياسين» في إطار الحشد الصهيوني لقوى الشر لإحداث الفزع بين الفلسطينيين ، ورغم أن «دير ياسين» لم تكن هي المذبحة الوحيدة التي ارتكبتها القوات العبرية ، إلا أنها حظيت بالتركيز الإعلامي مما فرض على القيادة اليهودية في فلسطين أن تسوق المبررات والأكاذيب في إطار تحسين الصورة واستيعاب اثر المذبحة ، ولكنها بالقطع فشلت في ذلك بدليل أننا نذكرها كنموذج في تاريخنا الحديث من نماذج المذابح وأساليبه التي تتقنها القيادات الصهيونية .

ثم إنتقلنا في الدراسة التي اعتمدنا فيها على أسلوب النموذج ، دون التتبع التاريخي والذي لا يمكن أن تكفيه الدراسة وانما يحتاج إلى مجلدات وخاصة لابراز الوثائق الدامغة التي تدين كل القيادات الإسرائيلية والتي ارتبطت بها أعمال العنف والإرهاب سواء من «بن جوريون» أو «ديان» أو «بيجين» أو «رابين» أو «بيريز» أو «شارون» وغيرهم الكثير .

وقد ركزنا على النموذج الحديث من نماذج العنف والإرهاب والمذابح التي حدثت في صبرا وشاتيلا المخيميين الفلسطينيين في بيروت الغربية واللذان اقتحمتهما القوات الإسرائيلية، وعاونتها قوات من ميليشيات حزب الكتائب وبعض القيادات اللبنانية الموتورة والمتحالفة مع اسرائيل . وبمشاركة كاملة من إسرائيل وبقيادة إسرائيلية على أعلى المستويات وبسلاح إسرائيلي أتمت القوات المقتحمة مذبحة

بشعة في المخيمين راح ضحيتها من ٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ آلاف من الفلسطينيين اساساً والعديد من اللبنانيين ومن الجنسيات الأخرى .

وقد حاولت إسرائيل التعتيم على تلك المذبحة رغم التركيز الإعلامي الذي واكبها، والمؤسف أنها جاءت من أناس يدعون أنهم قد تعرضوا للمذابح ويعرفون مدى القسوة التي تعنيها . ولكن المتتبع لأحداث صبرا وشاتيلا لن يغيب عنه الطبيعة التي أدارت بها إسرائيل تلك المذابح وكيف أنها «بدم بارد» أقدمت على عمليات القتل والذبح في غير رحمة أو مراعاة للحرمات .

ولأن صبرا وشاتيلا قد عادتا إلى بؤرة الأحداث في هذه الأيام على ضوء المواقف التي تتم الآن في « بلجيكا » والقضايا التي رفعها بعض ضحايا المذبحة ، ومازالوا على قيد الحياة أو أقارب لضحايا ذهبوا ، والمتهم الرئيسي هو رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي شارون . ولقد استعرضنا في عجالة اعتماد الاتفاقيات التي تمت بين الفلسطينيين وبين الولايات المتحدة بوساطة لبنانية للخروج من بيروت ، والمناخ العام الذي واكب ذلك ، والشهادات التي أدلت بها بعض الشخصيات اللبنانية والإسرائيلية وحتى الأمريكية . وكيف جاء تقرير اللجنة التي شكلتها إسرائيل للتحقيق والمعروفة بلجنة «كاهان» جاءت في إطارها التبريري لتلقي باللوم والمسئولية على قوى لبنانية بعينها، وتحاول تبرئة الجيش الإسرائيلي ، إلا أن المنُصف سوف يعلم الدور الإسرائيلي الواضح - كما أسلفنا - والعنف الإسرائيلي المفضوح والمكشوف .

ننتقل إلى نموذج إرهابي آخر تمارس إسرائيل فيه العنف بلا هوادة في مواجهة الشعب الفلسطيني الأعزل ، والذي لا يعرف سلاحاً سوى الحجارة أو بعض من الرصاصات التي تخرج من بعض البنادق القليلة التي في حوزة رجال المقاومة الفلسطينية . ولكن قبل الولوج إلى الانتفاضة الفلسطينية الأخيرة والتي بدأت في الثامن والعشرين من سبتمبر حين قام شارون بزيارة للمسجد الأقصى رغماً عن الاعتراضات الفلسطينية وتوفير ثلاثة آلاف جندي إسرائيلي لحمايته ، وما اعتبره الفلسطينيون تدنيساً للمقدسات الاسلامية ، واختباراً إسرائيليا لرد الفعل الفلسطيني على الحدث والقياس عليه.

لقد هب الشعب الفلسطيني بكامله وانفجر بركان الغضب في وجه الإسرائيليين الذين يحاولون بكافة الوسائل والطرق إجهاض الانتفاضة تساعدهم في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية بما تعرضه من اقتراحات دائماً في صالح إسرائيل دون اعتبار للجانب الفلسطيني .

وقبل التعرض لانتفاضة الأقصى والمخططات الإسرائيلية لمواجهتها ، لابد من الإشارة إلى أن هذه الانتفاضة الأخيرة نجحت فيها إسرائيل في تشويه الصورة الفلسطينية إلى حد ما وخاصة بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، والغرب بصفة عامة . ولكن للحق فإن الصمود الفلسطيني رغم الخسائر الفادحة التي عانى ويعاني منها يُعد مثالاً يحتذى ونموذجاً يُعتد به. ولكن السؤال الذي يلح على الخاطر هو لماذا نجحت إسرائيل في عام ٢٠٠٠ فيما لم تنجح فيه في ديسمبر عام ١٩٨٧ ؟ .

لقد فاجأت الانتفاضة الأولى الأوساط الإسرائيلية على كافة مستوياتها العسكرية والسياسية ، ولم تكن قد أعدت المخططات لمواجهتها ، لعدم توقعها وللصمود الذي واجه به الفلسطينيون سياسات العنف الإسرائيلي والبطش غير المبرر وصنوف الإرهاب التي مارستها القيادات العسكرية الإسرائيلية ضدهم ، فيما عُرف بسياسة «تكسير العظام» التي ابتدعها «اسحق رابين». والتي كان يقوم فيها الجنود الإسرائيليون بتكسير عظام الفلسطينيين بالفعل بوحشية منقطعة النظير . واستنكرت كثير من قوى العالم وخاصة أوروبا هذه السياسات الإسرائيلية والتي اعتبرتها عنفاً إسرائيليا غير مبرر .

وقد تعاملت إسرائيل مع أحداث الانتفاضة الأولى وفي النهاية تدخلت الولايات المتحدة وارتباطاً بالظرف التاريخي الحادث آنذاك، وهو العدوان العراقي على الكويت . وأسفرت استحقاقات الموقف العربي في حرب الخليج الثانية ، عن مؤتمر مدريد للسلام في نهاية أكتوبر ١٩٩١ وما أسفر عنه من تطورات . ولكن القيادات الإسرائيلية لم تنس الانتفاضة وعملت على الاستعداد على كافة الأصعدة لمواجهة احتمالات حدوثها ، ونجحت إلى حد كبير في تصوير أي غضب فلسطيني على السياسات الإسرائيلية ، وعدم تنفيذها للاتفاقيات ، على أنه إرهاب لا بد من مواجهته

وارتباطاً بالعلاقات الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية واستثماراً للوبي اليهودي هناك شوهت صورة القيادة الفلسطينية وصورت تمسك هذه القيادة بالحقوق الفلسطينية وعدم التنازل عنها ، على أنه تخريب للسلام ، ونجحت حتى مع الرئيس الأمريكي السابق «كلينتون» في جعله يتهم الرئيس الفلسطيني عرفات لرفضه توقيع اتفاق لا يسمح بأي سيطرة على القدس وحتى على المسجد الأقصى .... ولأن هذا الأمر ليس هو هدف الدراسة، فإنا نشير فقط إلى النجاح الإسرائيلي في تسويق صورة الفلسطينيين على غير الحقيقة واستمرار ذلك حتى مع القيادة الأمريكية الجديدة بقيادة « بوش» .

التخطيط الإسرائيلي لمواجهة الأعمال الفلسطينية في الأراضي المحتلة:

لم يقتصر الأمر على المواجهة السياسية والتفاوضية بالنسبة لإسرائيل بل وضعت أيضاً الخطط اللوجستية لمواجهة الأعمال الفلسطينية، وقد وضع المخطط الإسرائيلي تقديراته على اساس أن ، ما اسماه ، بأعمال العنف الفلسطينية قد تصل إلى مرحلة تحتاج إلى استخدام القوة لوقفها ، وبالتالي لابد أن تكون هناك خطط وسيناريوهات قابلة للتنفيذ الفوري لأن أعمال الانتفاضة والانفجار تلقائية في معظم الأحيان . وبالتالي فإنه لابد لإسرائيل أن تكون جاهزة للمواجهة من خلال درجة عالية من الاستعداد والتدريب على هذه الخطط والتي تطبق مرحلياً طبقاً لحجم العدائيات التي تواجهها ، وارتباطاً بتردي الأوضاع داخل المناطق المحتلة في الضفة والقطاع .

وبالفعل وفي بداية تولي « ايهود باراك» السلطة اجتمعت ما عرف بمجموعة الـ ٩٨ والتي تضم في عضويتها العديد من الخبراء العسكريين العاملين والسابقين وخاصة في المجالات الأمنية ، وأيضاً بعض الاكاديميين والمهتمين بالدراسات الاستراتيجية والعلماء الاقتصاديين والنفسيين ، واقترحت العديد من الخطط لمواجهة أعمال العنف الفلسطيني ، من وجهة نظرهم المحتملة ، بهدف تأمين المصالح الإسرائيلية وإعادة الاستقرار للأوضاع خاصة المستعمرات الاسرائيلية في الأراضي الفلسطينية ولإبراز القدرة على السيطرة على الأوضاع وإقرار السيادة الإسرائيلية طبقاً للموقف. وتم الاستقرار على أربع خطط كالآتى: [١٠٠]

١- خطة (الصيف الهندي) أو ما تعرف بالعبرية (هقيص ههودي):

وتستهدف هذه الخطة مواجهة أعمال العنف داخل المناطق الفلسطينية بتنفيذ أعمال الحصار وإغلاق المناطق بواسطة أجهزة الشرطة وقوات حرس الحدود وبعض الوحدات الخاصة مثل المستعربين والمتعاونيين بالإضافة إلى التنسيق مع عناصر تأمين المستعمرات والأجهزة الأمنية .

٢- خطة (خطة الفولاذ الملتهب) أو ما تعرف بالعبرية (هبلدا هلهطت):

وتم وضعها لمواجهة أعمال التصعيد والعنف المحدودة من الجانب الفلسطيني ، ويتم تنفيذها باستخدام عناصر محدودة من القوات الخاصة الاسرائيلية علاوة على اشتراك وحدات المستعربيين ، والوحدات التأمينية العاملة داخل المناطق المحتلة .

٣- خطة (سر اللحن) أو ماتعرف بالعبرية (سود ههلحناه):

وهي الخطة الخاصة بأعمال الشرطة وحرس الحدود إذا حدثت مواجهات بين الفلسطينيين وعناصر الأمن الإسرائيلي ، وترتبط بأعمال المواجهة والحصار وعزل بؤر التوتر والحد من إنتقالها إلى أماكن أخرى ، والسيطرة على الموقف من خلال تصفية الأسباب التي أدت إلى ذلك باستخدام أعمال العنف والردع على صعيد محدود وباستخدام الوسائل المتاحة التقليدية واستخدام الرصاص المطاطي وقنابل الدخان.

ولذلك قامت قوات حرس الحدود بتشكيل وحدات تابعة لها داخل الضفة الغربية كالآتي:

- وحدة لافي : وهي وحدة صغيرة تعاون الشرطة المدنية في مواجهة الأعمال الفدائية وتتمركز داخل القدس .

ب- وحدة صبّار : وتتمركز بالمنطقة الوسطى .

ج- وحدة ايرز : وهي تعادل كتيبة مشاه بالإضافة إلى وحدة روتام وتتمركزان في المنطقة الجنوبية .

٤- خطة (حقول الاشواك) أو ما تعرف بالعبرية (سدوت هقوتصيم):

وتستهدف هذه الخطة في حالة الانتقال إلى تنفيذها إعادة احتلال مناطق السلطة الفلسطينية . وتستخدم فيها القوات العسكرية لجيش الدفاع الإسرائيلي المدرعة والميكانيكية والوحدات الخاصة ووحدات المظلات وعناصر الاستطلاع الجوي (طائرات بدون طيار)، واستخدام الطائرات المروحية للقيام بأعمال الاستطلاع

والقصف والتدمير والتصفية (أهداف مختارة محدده).

ويصحب ذلك عمليات خاصة لاغتيال وتصفية العناصر المؤثرة التي تقود الانتفاضة ، والعناصر العسكرية الفلسطينية سواء التابعة للسلطة أو التابعة لمنظمات حماس والجهاد وفتح.

وتتدرج الأعمال من أعمال القصف بالدبابات والأسلحة الخفيفة والرشاشات وأعمال الاقتحام ، والعزل الشامل والحصار (تقسيم قطاع غزة إلى كيانات منعزلة - عزل الكيانات المتوترة - منع الانتقالات بين القرى والمدن الفلسطينية - قطع ومنع المرور على الطرق الرئيسية - منع الإمدادات ......).

والعمل على استنزاف قدرات الكيان الفلسطيني وتدمير بنيته التحتية لاضعاف سيطرته على المناطق الفلسطينية . ويتمثل ذلك في تخريب شبكات الاتصال ، ومراكز الشرطة وهدم مباني المخابرات والأمن ، واغتيال وضرب العناصر الفلسطينية القائمة بأعمال الأمن والشرطة واغيتال شخصيات الأجنحة القيادية والعسكرية والشخصيات المؤثرة. (وهذا البند الخاص بالاغتيالات أعاد اجتماع لمجلس الوزراء الاسرائيلي تأكيده في يوم الأحد ٢٠٠١/٧/٢ والإقرار بتصفية تسعة وعشرين عنصراً قيادياً فلسطينياً) وتتم هذه الأعمال القتالية الإسرائيلية والتي لا يمكن تسميتها إلا بحرب شاملة ضد الكيان الفلسطيني الأعزل بالتنسيق الكامل بين القوات العسكرية المتواجدة في الضفة والقطاع مع قيادة المنطقة الوسطى وهيئة الأركان العامة لإدارة الأعمال القتالية تحت سيطرة قيادات المنطقة الوسطى والجنوبية .

وحددت الخطة الظروف التي قد تلجأ إليها إسرائيل إلى تنفيذ هذه الخطة وذلك في حالة إعلان الدولة الفلسطينية من جانب واحد ، أو في حالة عدم السيطرة على أعمال التصعيد داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة .

وبانتخاب «أريئيل شارون» رئيساً لوزراء إسرائيل وفي إطار تأكيده على قدرته على قمع الانتفاضة وكسر شوكة المقاومة الفلسطينية ، وهي المرتكزات التي تم انتخابه

على أساسها وضع خطة خاصة به تعهد فيها بالقضاء على أعمال العنف الفلسطيني من خلال مائة يوم ولذا جاءت هذه الخطة بهذا الاسم :

٥- خطة (المائة يوم) أو ما تعرف بالعبرية (مائة يميم): [١٠١]

وقد تبناها شارون في إطار توجهاته الذاتية وتكوينه النفسي القائم على العنف والإرهاب . ويستهدف فيها تدعيم موقفه من خلال الإفراط في استخدام العنف مع الحرص على تحقيق نتائج من خلال تحقيق مكاسب خاصة به بواسطة زيادة مساحة التأييد الداخلي .

وهذه الخطة لا تختلف في جوهرها عن باقي الخطط والممارسات السابقة وإن كان شارون وأركانه قد جمعوا أكثر من مرتكز واعتمدت على أبعاد رئيسية هي :

أ- البعد العسكري والأمني : ويقوم على الاقتحام والعزل والحصار والتدمير .

ب- البعد الاقتصادي : وذلك بمنع دخول وخروج البضائع والمساعدات ، وقطع الكهرباء والمياه ، لضرب الاقتصاد الفلسطيني ومنع العمالة الفلسطينية من العمل داخل إسرائيل ، ومنع الاتصالات الفلسطينية الاقتصادية والتجارية مع دول الجوار ، ووقف استحقاقات السلطة الفلسطينية من الضرائب ، والإيعاز إلى المستعمرين لرفع قضايا تعويض أمام المحاكم الإسرائيلية ضد السلطة الفلسطينية تعويضاً عن القتلى من المستعمرين ، والتي تم تسعير الفرد الإسرائيلي الواحد بخمسة عشر مليون دولار، ويأتي ذلك أساساً في إطار منع دفع الحقوق المالية للسلطة الفلسطينية وحجز هذه الاستحقاقات وفاءاً للتعويضات .

ج- البعد النفسي: وهي التي تصب على الفرد من خلال التجويع والإزعاج والاعتقال، ومنع الدخول والخروج . بهدف إنهاك الفرد الفلسطيني على المدى الزمني الطويل وتسريب اليأس والإحباط إلى نفسه على أمل أن يشجع ذلك كثير من الفلسطينيين على التخلي عن دعم الانتفاضة .

د- العنف والإرهاب: وزيادة مساحة الإفراط في استخدام القوة ضد أبسط الأعمال

الفلسطينية. واعتبار أن العنف آلية رئيسية لمواجهة الأعمال الفلسطينية والعمل على إخضاع الإرادة الفلسطينية .

وقد بادر شارون إلى تعيين طاقم مستشارين لإدارة أعمال العنف ضد نشطاء الانتفاضة، وعلى رأسهم «ايهود ياتوم». [١٠٢] الذي عينه مستشاراً لرئيس الوزراء لمكافحة الإرهاب ، وهو الرئيس السابق للعمليات في جهاز الأمن الداخلي «الشين بيت».

الخاتمة :

هذه الدراسة التي تهتم أساساً بتأكيد ممارسات العنف اليهودي والإسرائيلي ضد الفلسطينيين والعرب والتي تمتد إلى مرحلة ما قبل الدولة الإسرائيلية والنماذج العديدة التي مارستها القوات العسكرية ضد العرب والتحرشات التي انطلقت فيها هذه القوات بدعم من سلطة الانتداب البريطاني على فلسطين ، صاحبة تصريح بلفور الذي أعطى لليهود مسوغاً قانونياً في المطالبة بما ليس من حقهم وهو الأرض الفلسطينية وكأن فلسطين ارض بلا شعب كما صورتها الدعايات الصهيونية . وممارسات العنف في عام ١٩٢٠ في يوم النبي موسى وهبة البراق في عام ١٩٢٩ والعنف الذي واجهت به السلطات البريطانية والقوات اليهودية ، الثورة الفلسطينية (١٩٣٦-١٩٣٩) ، والعنف الزائد الذي مارسته القوات اليهودية في الأربعينيات وخاصة بعد صدور قرار التقسيم في نوفمبر عام ١٩٤٧ وما تلا ذلك من إعداد يهودي عسكري على الساحة الفلسطينية ، ارتبط بالعنف والإرهاب .

وجاءت دير ياسين كنموذج سلطنا عليه الأضواء ولكنه ليس النموذج الوحيد الذي يفصح عن مدى العنف والبربرية الصهيونية .

وفي بدايات الدولة الإسرائيلية جاءت المذابح التي مارستها السلطات العسكرية واستيلاؤها على الأراضي العربية في إطار التوسع مع ممارسة أقسى صنوف العنف ضد المواطنين العرب سواء في داخل الأرض المحتلة أو على الحدود ، ضد القرى الحدودية لدول الجوار .

واخترنا المذابح التي تمت ضد المخيمات الفلسطينية وخاصة مخيمي صبرا وشاتيلا كنموذج لتأكيد إرهاب الدولة الذي مارسته إسرائيل وقادتها أثناء الغزو الإسرائيلي في عام ١٩٨٢ وخاصة على ضوء ، ما يثار هذه الأيام لاحياء إجراءات قضائية قد تطاول رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي «أريئيل شارون» ومسئوليته بل ومحاكمته كمجرم حرب وإرهابي ... ولكن هل تنجح هذه الجهود ، هذا ما نترقبه

ويترقبه الكثيرون ايضاً من المخلصين الراغبين في إحقاق الحق ، ولكن هناك الكثير ايضاً من الضغوط وخاصة الأمريكية التي تسعى إلى تمييع هذا الأمر وذلك في إطار ازدواجية المعايير التي تمارسها الديمقراطية الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة على ضوء تنامي الضغوط الصهيونية التي يمارسها اللوبي اليهودي على السياسة الأمريكية .

وقد وضحت الدراسة أن العنف لم يقتصر على أجهزة حماية النظام أو الأجهزة ذات الصفة الأمنية في مواجهة الممارسات الفلسطينية تجاه تحرير أراضيهم أو التعبير عن الرفض للسياسات الإسرائيلية الجائرة بل كان هناك عنف آخر من قبل السكان اليهود خاصة المستعمرات اليهودية والتي عادة ما يتميز سكانها بميول التطرف والعنف . وكثيراً ما لجأت إسرائيل وفي تعاون مع أجهزة الأمن والشرطة لاشراك المستعمرين اليهود في المواجهة مع الفلسطينيين بل وصلت إلى حد تسليح هؤلاء المستعمرين والسماح لهم بمهاجمة الفلسطينيين .

ولقد وضح أن الممارسات الإسرائيلية في مواجهة التظاهر والاحتجاجات الفلسطينية تتسم بأعمال العنف البالغ ، ولم يختلف في ذلك أحد من قادة الوزراء في اسرائيل فاسحق رابين هو مبتدع سياسة سحق أو كسر العظام ، وبيريز هو صاحب مجزرة قانا وعناقيد الغضب ، ونتنياهو هو مدمر عملية السلام وباراك وشارون المتسببان في انتفاضة الأقصى والممارسات المفرطة في العنف والقوة لمواجهتها ... وهذا التوجه يبرز أن ممارسات العنف هي أحد محاور الاستراتيجية للسيطرة على الوضع الأمني الداخلي وإخضاع الفلسطينيين .

وتبرز أن ممارسات العنف الإسرائيلية يخطط لها على مستويات الأجهزة الأمنية وبما يحقق مبدأ التدرج في الاستخدام طبقاً لحدود المواجهة مع الفلسطينيين ، وبما يضمن لها عامل الاستقرار لتحقيق الإنهاك للجانب الفلسطيني وبما يدفعه للتراجع . وهو ما لم يحدث ولهذا فإن وتيرة العنف تتنوع وتزداد وتشمل أبعاداً مختلفة منها البعد النفسي (قطع الكهرباء - المياه - الحصار - العزل - الإزعاج....) والاقتصادي (منع العمالة - منع التصدير - منع الإمدادات بالمواد الغذائية والمساعدات - إغلاق

الموانىء والمطارات - إغلاق الحدود...).

وتأخذ دائماً أعمال العنف شكل العقاب الجماعي لضمان تأثير شرائح السكان الفلسطينيين بغض النظر عن الطرف الموجه له العقاب أو المتسبب في اتخاذه وبما يخلق مساحة من الضرر قد تخلق خلافاً بين تلك الشرائح على خلفية عقاب طرف على حساب طرف آخر.

وفي إطار تعظيم حجم التأثير تحرص السلطات الإسرائيلية على فداحة الخسائر (بشرية -مادية - معنوية)، مما تظنه أنه قد يوفر الردع (من هدم للمنازل وقتل للأفراد وتخريب البنى الأساسية والتحتية) وهو ما يدفع العناصر الإسرائيلية القائمة بذلك وللمبالغة في ممارسات العنف ارتباطاً بالشحن الزائد والمستمر في اتجاه العنف والإرهاب.

وفي نفس الوقت فإن الدعاية الإسرائيلية تعمل على تعظيم الممارسات الفلسطينية المضادة وتصنيفها ضمن أعمال التخريب والإرهاب. وتسعى دائماً للتأكيد على ذلك من خلال خطة إعلامية تهدف إلى مخاطبة الرأي العام الخارجي واقناعه أن الأعمال الإسرائيلية إنما تجيء دائماً للرد على هذه الممارسات، ويساهم في ذلك انفراد إسرائيل بالمجال الإعلامي دون الفلسطينيين.

وتعمل القيادة الإسرائيلية على إطلاق حدود ممارسات العنف الفردي والجماعي ليشمل رموز السلطة الفلسطينية وشرائح الشعب الفلسطيني المختلفة (وليس أدل على ذلك أكثر من تصديق مجلس الوزراء الإسرائيلي رسمياً بتصفية تسعة وعشرين قيادياً فلسطينياً مشاركة في انتفاضة الأقصى...) وهو الأمر الذي يبرز مدى العنف الرسمي الذي تمارسه الدولة الإسرائيلية ويتم نشره في وسائل الإعلام الإسرائيلية والعالم أجمع يقف ساكناً ولا يملك إلا المناشدة لقوى التطرف الإسرائيلية بمراجعة موقفها!...

إن العنف الذي تمارسه إسرائيل إمتد إلى المواطنين العرب الذين استمروا يعيشون في بلدانهم ولم يغادروها والذين تفرض عليهم حياة لا تخرج عن تصنيفهم

مواطنين من درجة أدنى من المواطنين اليهود في إسرائيل، بل وصل الأمر إلى مواجهة احتجاجاتهم بالرصاص الحي والقتل مثلما حدث من قتل ١٥ عربياً في الخضيرة منذ اشهر قليلة .

وقد تمادت القيادة الإسرائيلية في ابتكار وسائل العنف والعناصر القائمة بها لتشمل أجهزة الشرطة والأمن وحرس الحدود والقوات الخاصة ووحدات المستعربين والجيش الإسرائيلي نفسه واجهزة المخابرات والمستعمرين من اليهود ... وتأهيل كل هذه العناصر لأعمال الاغتيالات والتصفية وممارسة العنف ضد الفلسطينيين .

وقد رأينا كيف عملت القيادة الإسرائيلية على وضع سيناريوهات المواجهة ذات التدرج في العنف والتي برزت من خلال مواجهة الأقصى (الصيف الهندي من سر اللحن ، حقول الأشواك ، خطة المائة يوم) والإعلام عن هذه الخطط في إطار ممارسة الردع والتخويف ... ووصل الأمر أن تم استخدام كل وسائل العنف من أسلحة متطورة بما فيها الصواريخ والطائرات المقاتلة علاوة على طائرات أباتشي المروحية الامريكية ضد الفلسطينيين العزل ولمواجهة أطفال الحجارة . .

ورغم ذلك فإن الاسرائيليين الذين فقدوا عامل الأمن الداخلي والاطمئنان ، وحالة الفزع التي تسيطر عليهم وتوقعهم الخطر في أي لحظة ... كل هذه العوامل بدلاً من أن تدفعهم إلى تلمس الأمن في إطار تحقيق السلام الشامل والمتكافئ ، بدلاً من ذلك فإنهم يسعون ويدعمون ممارسات العنف والتمادي فيها ضد الفلسطينيين والعرب الآخرين ، ويأتي ذلك في ظل ثوابت المنظور الأمني الإسرائيلي للفرد والدولة.!

ومن الملاحظ أن شارون ورجال حكومته مستمرون في التشجيع على العنف والعمل على التسخين الدائم حيث أنه لا يملك برنامجاً سياسياً محدداً للسلام فانتخابه جاء على خلفية القضاء على الانتفاضه وجعل الفلسطينيين يقبلون بفتات السلام ... ولذا فإن زيارتي شارون ولقاءاته مع الإدارة الأمريكية الجديدة وزياراته الأوروبية الأخيرة تعد في إطار تهيئة الرأى العام العالمي لعمل كبير ضد السلطة الفلسطينية وضد الشعب الفلسطيني .

وإذا كانت وسائل الإعلام الإسرائيلية أعلنت عن خطة الاغتيالات لعناصر المقاومة الفلسطينية ، وأيضاً الاستعدادات الإسرائيلية التي تجري على قدم وساق نحو ضرب أربعين هدفاً - حسب ما ذكرت الأنباء - في أراضي السلطة الفلسطينية ، وممارسة أقسى صنوف العنف واستخدام ما في جعبة الترسانة العسكرية من أسلحة أمريكية متطورة (بعضها لم يدخل الجيش الأمريكي بعد) ، ضد الفلسطينيين لانهاء القضية من وجهة نظرهم.!

فهل تنجح إسرائيل في ذلك ؟ وهل تحقق هدفها ؟ نحن كعرب مطالبون بالوقوف خلف المناضل الفلسطيني ودعمه وتناسي الخلافات ووضع هدف واحد نصب أعيننا هو إنقاذ مسيرة السلام من خلال ممارسة التأثير على الطرف الأمريكي الذي احتوانا في عباءته ، وراح يدعم الطرف المعتدي سياسياً ومعنوياً وتسليحياً .. هل ننجح كعرب...!

قد تكون الأحداث قد تطورت حتى تصدر هذه الدراسة ، ولكنها ألقت الضوء على طبيعة الممارسة الإسرائيلية وايمان القيادة الإسرائيلية الراسخ باستراتيجية العنف في مقابل استراتيجية السلام الراسخ الذي تؤمن به القيادات العربية ! فلمن تكون الغلبة ؟ هذا ما سوف يتضح في المستقبل .

الهوامش :

١- محمود سعيد عبدالظاهر : الصهيونية وسياسة العنف ، زئيف جابوتنسكى وتلاميذه في السياسة الإسرائيلية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ص ١٧٩ -١٨٠.

٢- Herzl, Theodor: Jewish State, In The Zionst Idea, A Historical Analysis And Reader, (Ed. By, Arthur Herzberg. New York, Herzl Press, 1959, P. 209.

٣- bid., P. 221.

٤ -Ibid.

٥- Ibid.,

٦- ميخا جوزيف بيرديشفسكى : أحد يهود أوكرانيا ولد لعائلة يهودية متدينة ، تزوج من ابنة عمه في سن مبكرة، ولكن اضطر للانفصال عنها عندما علم عمه باهتمامه بحركة التنوير اليهودية «الهسكلاه» اهتم بدراسة النقد الأدبي ، عمل كطبيب أسنان واهتم بتعاليم نيتشه عن الإنسان وتبنى دعوته الرامية إلى إعادة تقويم جميع القيم واكتشاف ارتباطها بالتقاليد اليهودية . كتب عدة مقالات في الفكر اليهودي منها، تدمير وتعمير Working And Building ، وطالب فيه بالتحرر من عبودية الماضي الروحي وإحداث ثورة في قيم الحياة اليهودية كمقدمة لقيام إسرائيل . ومقاله في اتجاهين In Two Directions انتقد الجمع بين الضدين السيف والكتاب، وطالب بأن يكون للسيف الحد الفاصل ، لأنه هو أي السيف تجسيد للحياه من وجهة نظره ، ومسألة الثقافة The Question Of Culture ، ومقالة الآخر The - Question Of Our Past ، ويوضح فيها أن القوة هي السبيل لبناء الاتحاد الذي يصمد لعوامل الزمن . وقد تأثر في أفكاره ومعتقداته بنيتشه فيلسوف العنف والقوة الألماني .

٧- محمود سعيد ، مرجع سابق ص ١٨١.

٨- نفس المرجع .

Herzberg, Arthur (Ed): OP. Cit, P. 295. -٩

Ibid. -١٠

Ibid. P. 296. -١١

Ibid. -١٢

١٣- محمود سعيد ، مرجع سابق ص ١٨٢.

١٤- ماسادا : Massada الكلمة ليست عبرية بل أرامية وتعني القلعة ، وتقع على قمة صخرة مرتفعة عند البحر الميت ، ويقال أن الذي أقامها هو الحاكم اليهودي هيرود خوفاً من كليوباترا ملكة مصر وكملاذ يحتمى فيه عند الحاجة من «الشعب اليهودي» الذي كان يريد عزله ، ولهذا قام هيرود بتحويل ماسادا من مجرد صخرة إلى قلعة حصينة . وقد احتل الرومان القلعة ولكن اليهود أثناء الثورة اليهودية استولوا عليها وذبحوا كل أفراد الحامية الرومانية بعد أن وعدوهم بالأمان إن هم استسلموا (مما يفسر خشية اليهود من الاستسلام فيما بعد) ثم حاصر الرومان القلعة من كل الجهات لعدة سنوات وأحدثوا ثغرة في جدرانها مما دفع القائد اليهودي إلى إقناع رفاقه بممارسة إنتحار جماعي بدلاً من الوقوع أسرى في أيدي الرومان مما أودى بحياة ٩٦ يهودياً . وقد تحولت ماسادا بعد ذلك إلى موقع عسكرى رومانى ثم إلى قلعة صليبية ، ويشك كثير من المؤرخين في حقيقة تلك القصة ومن هؤلاء المتشككين العديد من اليهود وعلى رأسهم الباحثة اليهودية «ويسي رومازين» التي أعلنت أن دراستها تؤكد أن قصة ماسادا خرافة وأسطورة ويعتقد أنه يراد من هذه القصة التدليل التاريخي على سلامة الاكتشافات الأثرية التي تستند إليها ويتزعمها الجنرال «ايجال يادين» رئيس الأركان الأسبق ونائب رئيس الوزراء الإسرائيلي بعد ذلك. وتهدف إسرائيل من هذه القصة إلى « صهينة» الشباب اليهودي والتأكيد على وجود جذور تاريخية لدولة إسرائيل الحالية في الماضي اليهودي ، وتصور اليهود على أن التضحية حتى بالنفس واردة في العقلية الإسرائيلية ، وهذا يرهب الأعداء ، وان اليهودي هو هذا الجندى الفذ الذي يفضل الانتحار على أن يذوق عار الهزيمة . ولكن

استسلام العديد من الجنود الإسرائيليين في مواقعهم في حرب رمضان أكتوبر عام ١٩٧٣ أكبر دليل على تساقط الدعاوى النفسية والإرهابية لأسطورة تمثل محوراً ارتكازياً عقائدياً كبيراً ، ومنطلقاً ضخماً في الفكر الصهيوني ولو أحسنا استثمار نتائج (الأفعال) لفندنا العديد من الدعاوى المختلفة لإسرائيل .

١٥- أسعد رزق : إسرائيل الكبرى ، دراسة في الفكر الصهيوني التوسعي ، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، ١٩.

١٦- نفس المرجع.

١٧-نفس المرجع.

١٨- Cohen, Israel. The Zionist Movement. London, F. Muller, 1965, P. 52.

١٩- هيثم الكيلاني : المذهب العسكري الإسرائيلي ، بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، سلسلة كتب فلسطينية ، ١٩٦٩ ، ص ٤٢٨.

٢٠- Cohen, Hanz, Zion And National Judism, Menorah, 1958.

٢١- محمود عبدالظاهر ، مرجع سابق ، ص١٨٤.

٢٢- Weizman, Chaim: Trial And Error. London, Hamish Hamilton, 1950.

٢٣- Kotler,Arther: Pranise And Fulfilment. London Macnilian & Co. Ltd., 1949, PP. 252- 253.

٢٤- الهاجاناه وتعني الدفاع، منظمة عسكرية صهيونية أنشأها جابوتنسكي عام ١٩٢٠ وورثتها عنه الصهيونية الرسمية وتولى قيادتها الياهو جولومب ثم توالت عليها القيادات الصهيونية المعروفة وقد شكلت الهاجاناه مع باقي المنظمات الصهيونية العسكرية الأخرى نواة جيش الدفاع الإسرائيلي المعروف اختصاراً « تصهال» عام ١٩٤٨ للمزيد ارجع إلى:

- دينور ، بن تيسون (عبري): تولدوت ههجناه - همعراخوت (تاريخ الهاجاناه -

المعارك) المجلد الأول - الجزء الأول ، تل أبيب ، بيت هعم هعوفيد (بيت الشعب العامل)، ١٩٥٤.

٢٥- حسن صبري الخولي: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ، في النصف الأول من القرن العشرين، المجلد الأول، القاهرة، دار المعارف ، ١٩٧٣، ص٥٥٤-٥٥٥.

٢٦- محمود سعيد عبدالظاهر ، مرجع سابق ، ص ١٥٨- ١٧٥.

٢٧- Begin, Menachem: The Revolt, Story Of The Irgun. New York, Henry Schuman, 1951, P. 40.

٢٨- Ibid., P. XIII.

٢٩- Heacht, Ben: Perfidy. New York, Julian Messner, Inc, 1982, P. 28.

٣٠- Begin, Menachem: Op. Cit., P. 186.

٣١- Sacher, Harry: The Course Of Modern Jewish History. New York, 1963, P. 190.

٣٢- Begin, Menachem; Op Cit., Pp. 213- 214.

٣٣- Ibid., P. 220..

٣٤- Ibid.

٣٥- Ibid.

٣٦- Ibid,

٣٧- C.O. Palestine Statement Of Information Relating To Acts Of Violence, cmd. 6873, July 24, 1946, London: H.M.S.O.

٣٨- Begin, Menachem., Op. Cit., P.232.

٣٩- محمود عبدالظاهر ، مرجع سابق ، ص ٢٤٢.

٤٠- البلماح : أو البلماخ : وهو الاختصار للقوات المعروفة بقوات « بلوجوت ماحتس» أو ما تُعرف بالعربية «بسرايا الصاعقة أو الساحقة» وهي القوات التي اعتمدت عليها القوات اليهودية للقيام بأعمال إرهابية ضد العرب لإفشال مقاومتهم ، كما أوضح ذلك «دافيد بن جوريون» رئيس الوكالة اليهودية ، وللتعامل مع القوات البريطانية عند الضرورة .

وقد تدرج تشكيل هذه القوات من عدة سرايا حتى أصبح إحدى عشرة كتيبة ، وقد انتظمت بعد ذلك في ثلاثة ألوية وقد أصبحت هذه القوات نواة الجيش الإسرائيلي وقد عمل بها معظم القادة العسكريين للجيش الإسرائيلي عند قيام الدول ، وايضاً عمل فيها معظم القادة العسكريين للجيش الإسرائيلي فيما بعد أمثال «موشي ديان» و«يجئال ألون» و «اسحق رابين» للمزيد عن البالماح انظر :

محمود عبدالظاهر : تطور القوات العسكرية اليهودية إبان الثورة الفلسطينية الكبرى. (١٩٣٦-١٩٣٩) القاهرة ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، سلسلة رقم ٢٣٦، ١٩٩٨ ، ص ٢١- ٢٢.

٤١- جلعاد ، زوربابل : سيفر هبلماح (كتاب البلماح) (عبري)تل أبيب، الكيبوتس الموحد، الجزء الأول ، ١٩٥٦ ص ٥٥.

٤٢- يتسحاق ، آرييه : دراسة منشورة بالعبرية في جريدة «يديعوت احرونوت» بتاريخ ١٤/٤/١٩٧٢ بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين على دير ياسين .

٤٣- نيف ، دافيد ، معرخوت شل ها ارجون هتسفئ لؤمي (عبري)، معارك المنظمة العسكرية القومية الجزء الخامس ،كلوزنر ، ١٩٦٥ ، ص ١٣٨.

٤٤- نفس المرجع .

٤٥- بن تسيون ، دينور (عبري): تولدوت ههجناه: هممعرخوت (تاريخ الهاجاناه - المعارك) المجلد الأول ، تل أبيب ، عم عوفيد ، ١٩٥٤ ، ص ١٥٤٥.

٤٦ - محمود عبدالظاهر ، الصهيونية وسياسة العنف ، مرجع سابق .

٤٧- مئير، بعيل : في ذكرى مرور أربعة وعشرين عاماً على مذبحة دير ياسين ،

دراسة منشوره في يديعوت احرونوت ١٤/٤/١٩٧٢.

كان مئير بعير قد شارك في عملية دير ياسين كمراقب بتكليف من دافيد شالتئيل قائد الهاجاناه في منطقة القدس ، لذا فإن شهادته هذه تكتسب أهميتها من كونه شاهد عيان للأحداث، وقد أصبح بعد ذلك عضواً في الكنيست عن حزب العمل .

٤٨ - نفس المرجع .

٤٩- نفس المرجع .

٥٠- Begin, Menahem. Op. Cit., P. 163.

- يذكر مناحم بيجين أنه عندما أنكرت الهاجاناه علمها بمهاجمة دير ياسين ،ورداً على ذلك قام بنشر نص الخطاب الذي أرسله إليه شالتئيل ، ولكنه حفاظاً على السرية أغفل ذكر إنشاء المطار .

٥١- يهوشع، جولد شميت هو نفسه قائد شاحنة المتفجرات التي نسفت فندق الملك داوود في شهر يوليو عام ١٩٤٦، مما أسفر عن نسفه وتدمير مقر المخابرات البريطانية في فلسطين، ومكاتب الحكومة ومقتل (٥٧) مدنياً من العرب والبريطانيين واليهود في إطار ممارسة الارجون لدورها الإرهابي في فلسطين وبالتنسيق الكامل مع الهاجاناه .

٥٢- يديعوت احرونوت- مرجع سابق.

٥٣- نفس المرجع.

٥٤- نفس المرجع.

٥٥- نفس المرجع.

٥٦- نفس المرجع

٥٧- بن تسيون ، دينور : مرجع سابق ، ص ١٥٤٧.

٥٨- نفس المرجع.

٥٩- يديعوت احرونوت ١٤/٤/١٩٤٨.

- ذكر وليد الخالدى : أن العدد لا يتعدى التسعين شهيداً . وليد الخالدى ، السنة الخمسون بعد قرار التقسيم ، الحياة ١٩٩٨/١٢/٧. ص ١٨.

٦٠- نفس المرجع.

٦١- نفس المرجع.

٦٢- عارف العارف : النكبة ، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود(١٩٤٧-١٩٥٢)، (٥) أجزاء ، الجزء الأول . صيدا ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٩٦٠، ص ١٦٩- ١٧٦.

٦٣- محمود عبدالظاهر : النشاط العسكري اليهودي في فلسطين من قرار التقسيم إلى إعلان الدولة ، دراسة منشورة في رسالة المشرق ، القاهرة ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ٢٠٠٠ ، ص ٤٦٨.

٦٤- نص الكلمات التي استخدمها شالتئيل لتوضيح مدى الكراهية والعنف : «عسوكفي شفا لخ مفعولوت ههريجا فههشمدا فهفعرص» . وترجمتها «فلتفعلوا ما يحلو لكم من قتل ونسف وتدمير» .

٦٥- ألون ، يجئال (عبري): معرخوت هبلماح (معارك البلماح) تل أبيب هيكبوتس هيئوحد (الكيبوتس الموحد) ، ١٩٦٦، ص ٢٢١.

٦٦- Beign, Menachem, Op. Cit., P. 220.

٦٧- Ibid.

٦٨- دافار (عبري) ١٩٤٨/٤/١٢.

٦٩- كول هَمَجن (صوت الدفاع): ١٩٤٨/٤/١٢ .

٧٠- United Nations Security Council Official Records. 5/2067, P. 6, 27, March, 1951, PP. 23-24.

٧١- Hutchison, Commander E.H. Violent Truce. New Yourk The Devin- Adair Co. (VI) 1958, PP. 111- 114.

United Nations Security Council Official Records. 5/ 2833, -٧٢
1952.

Ibid. 5/ 3659. 1956. -٧٣

Jersualem Post, 29, Decmber, 1966. -٧٤

Ibid. -٧٥

Bernadotte, Count Folke: To Jerusalem. London, Hodder And -٧٦
Stoughton, 1951, P. 200.

Kohn, Hans. "Zion And The Jewish National Idea" In, The -٧٧
Menorh, Vol. Xivi, 1& 2 Autumn- Winter, 1958 .

Dayan, Moshe. "Israels Border And Security Problems" -٧٨
Foregin Affairs, Vol. 33, No. 2 January 1955, P. 264.

Durns, Lieutenant- General E.L. Between Arab And Israel. -٧٩
London , George Harrap And Co., 1962, PP. 140- 141.

United Nations Security Council Official Records 5/ 3575, -٨٠
4/4/1956.

Huchison., op. cit, PP. 109-110 -٨١

٨٢- هعولام هازه (جريدة عبرية) ١٠/٦/١٩٦٦.

٨٣- الصبرا : هم اليهود المولودون في فلسطين قبل إنشاء إسرائيل .

٨٤- للمزيد عن شارون إرجع إلى :

محمود عبدالظاهر ، الصهيونية وسياسة العنف، مرجع سابق ، ص ٢٧٢ -٢٧٣ -
٢٩٢-٤٩٤.

Sheer, Zeev, Lebnon war. Forign ffaires, Washngton, Spring -٨٥
1983, P. 22.

٨٦- هَمُح هَبرزل أو الدفاع الحديدي هو الاسم الذي أطلقته القوات الإسرائيلية على خطتها لاقتحام بيروت الغربية . وقد دأبت القوات اليهودية قبل إنشاء الدولة ومن بعدها قوات جيش الدفاع الإسرائيلي على إطلاق هذه الأسماء والمسميات على عملياتها العسكرية ، وهي تبغي بذلك هدفين رئيسيين هما إشعار الشعب الإسرائيلي بأهمية وخطورة الموقف من خلال المسميات الكبيرة أو التاريخية وبالتالي تضمن تأييده وتعبئته المستمرة في الاتجاه المؤيد لها . والثاني هو إرهاب الطرف الآخر من خلال الموقف وعدم التوقع .وقد رددت وسائل الإعلام الإسرائيلية الاسم الحركي للعملية كثيراً مثلما جاء في :

- هآرتس ١٢/٨/١٩٨٢.

٨٧- قام الياس (إيلي) حُبيقة بعقد مؤتمر صحفي في بيروت في ٥/٧/٢٠٠١ لتوضيح الموقف من مجازر صبرا وشاتيلا والرد على تقرير لجنة كاهان الإسرائيلية والذي سنتعرض له في الدراسة . ولكن الملفت أن رد حُبيقة الذي أصبح نائباً في البرلمان اللبناني ووزير في وزارات لبنانية عدة، لم يفكر في هذا الأمر إلا بعد تسعة عشر عاماً من المجازر وادعى أن هذا الأمر جاء لتبرئة نفسه وموقف الكتائب وأن لديه رواية أخرى غير الرواية الإسرائيلية التي للأسف استمرت هي الرواية المعتمدة حيث لم تناقضها رواية أخرى على الرغم من اعترافات الناجون من المذبحة ، والتي قامت واحدة منهم هي الفلسطينية «سعاد سرور طه» برفع دعوى أمام المحاكم البلجيكية لمحاكمة شارون حيث يسمح القانون البلجيكي برفع الدعاوى على السياسيين المتهمين بقضايا ضد الإنسانية ، ولكننا نتابع الموقف ، وخاصة أن الحكومة الأمريكية بدأت تمارس ضغوطها الشديدة علاوة على اللوبي اليهودي في أوروبا وأمريكا ، لكي تغير بلجيكا قانونها وتمتنع عن المضي في محاكمه أريئيل شارون وهو الأمر الذي أصبح احتماله وارداً ، حيث اقتنعت النيابة البلجيكية بجدية الدعوى وبدأت فعلاً في اتخاذ الإجراءات نحو التحقيق لتحديد مسئولية شارون عن هذه المذابح والتي سوف نتعرض لهذه المسئولية لاحقاً . وخاصة أن تقرير كاهان الإسرائيلي نفسه رغم ما فيه من المغالطات وهذا ما سوف نوضحه في حينه ، إلا أنه أدان صراحة وبلا مواربة وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك ، رئيس الوزراء الحالي ،

أريئيل صموئيل شارون واعتبره مسئولاً عن وقوع المذابح . . وأنه أخل بواجبات وظيفته كوزير للدفاع . .إن هذه الدراسة تتم وأحداث ما زالت فصولها لم تتم بعد وهو ما سوف تسفر عنه المواقف في الأيام القادمة ولكن المهم أيا كان الأمر فإن قبول الادعاء في حد ذاته من جانب النيابة البلجيكية هو خطوة على الطريق الصحيح لفضح التطرف والعنصرية الصهيونية ، وكشف رموزها وأنه في حالة أن مارست بلجيكا دورها ولم تخضع للتهديدات الأمريكية والابتزازات الإسرائيلية التي بدأت بالفعل في مهاجمة القنصلية البلجيكية في القدس في يوم الخميس الخامس من يوليو عام ٢٠٠١ وتحطيم زجاجها ، بواسطة مجموعة من المتطرفين اليهود واليمينيين في إسرائيل، نقول إنه في حالة الاستمرار في إجراء الدعاوى ولم يصدر قانون معاكس يمنعها فإنه بلا شك سوف يصل قاضى التحقيق إلى نتيجة مؤداها مسئولية شارون ومشاركته الفعلية في مجازر صبرا وشاتيلا . أما إذا صدر قانون بلجيكى يمنع الاستمرار في الادعاء فإن العالم أجمع سيكون قد علم أن هناك إجبار لمنع المضي في التحقيق للوصول إلى الحقيقة ، والتي لن تخرج عن كونها إدانة لإسرائيل وزعيمها أريئيل شارون ، وإذا كان الأمر غير ذلك فلماذا يخاف شارون من الاستمرار في إجراءات الادعاء وما سوف يسفر عنها فلماذا إلا اقتناعاً منه أن الاستمرار في التحقيق سوف ينتهي بإثبات إدانته والتي ذكرها تقرير كاهان جزئياً من قبل وأن شهادات الشهود الذين مازالوا أحياء سوف تدينه والخوف من صدور مذكرة توقيف في حق رئيس الوزراء الإسرائيلي .

وللعلم فإن شارون في هذه الحالة لن يكون أول مسئول إسرائيلي تصدر في حقه مذكرة توقيف ، إنما كانت هناك مذكرتان بريطانيتان إحداهما من حكومة الانتداب في حق مناحم بيجين ومسئوليته عن مذبحة دير ياسين في التاسع من إبريل عام ١٩٤٨ ، والأخرى صدرت في لندن وليس فلسطين ضد رئيس الوزراء الأسبق اسحق شامير « قائد ليحي ومسئوليته عن اغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطانى في عام ١٩٤٤» ، وأن البوليس السياسي المصري كان قد أدرج اسمه هو ومناحم بيجين في القوائم السوداء المطلوب القبض عليها . وماذا فعلت لندن عندما تولى بيجين أو شامير الوزارة ومن قبل ذلك أسقطت الدعاوى عنهم . إننا أمام عدالة الغرب وأمام

مقاييسه لهذه العدالة وازدواجية معاييره لها . فهم وهذا - يحمد لهم - قد سعوا واوصلوا ميلوسيفتيش الرئيس الصربي السابق والزعيم اليوغسلافي إلى محكمة لاهاي لمحاكمته وهو يستحق ذلك بل ينبغي التشدد مع كل المجرمين الذين أحالوا البلقان إلى بؤرة التوتر في العصر الحديث . ولكن أين العدالة الأوروبية والأمريكية تجاه مجرمي الحرب الإسرائيليين ونعتقد أن الأمر يختلف وهو ما يحتاج إلى كثير من الجهد حتى ينجح ويقتنع الغرب أن الأمر ينبغي أن يخضع لمعايير العدالة التي لا تتدخل فيها السياسة فهل يحدث هذا ! . إنها أفكار وأطروحات تنتظر رد الاحداث عليها.

٨٨- تقرير رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية ميجور جنرال يهوشع ساجي إلى وزير الدفاع الإسرائيلي أريئيل شارون في ١٢ أغسطس ١٩٨٢ . تقرير عبري غير منشور أشارت إليه هآرتس في ١٩٨٢/٨/١٤.

٨٩- شيف ، زئيف ويعاري ، ايهود (عبري) ملحماه يسرائيل بلبنان (حرب إسرائيل في لبنان). تل أبيب ، ١٩٨٣، ص ص ٣١٢ -٣١٥.

٩٠- نفس المرجع ، ص ٣١٧.

٩١- نفس المرجع.

٩٢- نفس المرجع ، ص ٣٣١.

٩٣- نفس المرجع ، ص ٣٤٦

٩٤- تقرير رئيس المحكمة العليا كاهان عن أحداث مخيمي صبرا وشاتيلا (١٦- ١٩٨٢/٩/١٨) تل أبيب ، ص ٢٨٤ (الشهادات).

٩٥- هآرتس ١٩٨٢/٩/٢٧.

٩٦- أحمد صدقي الدجاني : صبرا وشاتيلا ، الجريمة الإسرائيلية والمسئولية الأمريكية (نقد تقرير كاهان)، القاهرة ، دار المستقبل العربي ، ١٩٨٤، ص ٢٠.

٩٧- يديعوت أحرونوت ١٩٨٢/٩/٢٩.

٩٨- أحمد صدقي الدجاني : مرجع سابق .

٩٩- تقرير رئيس المحكمة العليا كاهان عن أحداث صبرا وشاتيلا ، مرجع سابق، ص ٩١.

١٠٠- يديعون احرونوت ١٩٩٨/٩/٨.

١٠١- هآرتس ٢٠٠١/٢/١٤

١٠٢- وكالة الأنباء الإسرائيلية ٢٠٠١/٤/١٢.

أيهود ياتوم : يبلغ من العمر ٥٣ عاماً وهو شقيق الرئيس السابق للموساد «داني ياتوم» ومستشار رئيس الوزراء السابق للشئون الاستراتيجية.

آخر مناصب ياتوم الرسمية هو منصب الرئيس السابق لعمليات جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي «الشين بيت». وكان قد عمل ضمن مجموعة من الضباط المسئولين في الشين بيت أقيلوا من مناصبهم لمسئوليتهم عن تصفية اثنين من الفلسطينيين حاولا عام ١٩٨٤ الاستيلاء على أتوبيس إسرائيلي وقتل ركابه .

وياتوم معروف بأفكاره المتطرفة وقد منع في الماضي من تسلم أي منصب عسكري أو مدني خلال السنوات الأخيرة رغم استقادته وعدد من زملائه من عفو رئاسي عام.

وقد عارض الكثيرون من القيادات الإسرائيلية هذا التعيين ، حيث أكد «يوسي ساريد» زعيم حزب ميرتس بأن هذا الاختيار خاطئ . وأن ياتوم معروف عنه بأنه قاتل الأسرى الفلسطينيين ولذا فإن هذا اختيار خاطئ .

إصدار : مركز زايد للتنسيق والمتابعة
أبوظبي - الامارات العربية المتحدة
ص.ب : ٥٧٢٧ - تلفون : ٦٦٦٦١٣٠ (٠٠٩٧١٢) - فاكس : ٦٦٦٣٠٨٨ (٠٠٩٧١٢)